الجزء الرابع

# العمل المنتظم من أجل العميان

# الفصل الخامس والعشرون

## المؤسسات والجمعيات

### ١ – وجهة نظر

من الأمور الأساسية عند النظر فى أسلوب نظم العمل من أجل العميان مسألة وجهة النظر الأساسية ، ونعنى « فلسفة العمى » ، التى تحرك وتوجه العمل والعاملين معاً . فإذا كان العمى هو هذه الإعاقة الغامرة التى يستحيل إزاءها عمل ، اللهم إلا تيسير مصير العميان ، فعندئذ يصبح العزل فى التعليم والعمل والترويح والإقامة هو الإجابة الوحيدة الممكنة . أما إذا كان العمى على الرغم من أنه إعاقة كبرى متعددة الجوانب يمكن التغلب عليه إلى درجة تجعل الحياة العادية والعمل العادى ممكنين للغالبية العظمى من العميان ، فعندئذ ينبغى أن يتجه بنا الجهد إلى تحقيق تكاملهم ضمن مجتمع المبصرين .

ولقد أصبحت كلمة « العزل » ، من حيث هى انتماء وانعزالية مفروضة ، كلمة معبأة بالمعانى . وفى الوقت الحاضر ، وباستثناء المناطق المعبأة تاريخياً بالأحكام القبلية ، لا يوجد غير قليل من الأمريكيين يقبلون الدفاع عن « العزل » فى شكل من أشكاله . والذين يعارضون منا فكرة « العزل » بالنسبة للعميان ، ينبغى أن يسلموا بأن استخدام هذه الكلمة إنما تشيع فى المشكلة من الحرارة بأكثر مما يلقى عليها من الضوء . ومع ذلك « فالعزل » والتكامل هما اللفظان الملائمان ، بل ويبدو أنهما اللفظان الوحيدان المتاحان للتعبير عن الفلسفتين القائمتين ، والاتجاهين القائمين ، وأسلوب العمل مع العميان :

والعزل ، كأسلوب للعمل مع العميان ، يسنده وزن التاريخ من خلفه .

فكثيراً ما تجمع العميان فى الماضى فى جماعات من أجل التدريب أو العمل . وكانت « الملاجئ » والمؤسسات والمدارس مصدراً لعدد من أعظم أشكال التقدم فى العمل مع العميان ، وفلسفة العزل لا تزال حتى اليوم فعالة فى مجال العمل مع العميان . بل وهناك فى الجمعيات المتخصصة من يحبذ إقامة « ورش التدريب » ، ومن يحبذ أشكالا أخرى كثيرة للمناشط القائمة على العزل ( والتى كثيراً ما تتقنع تحت التسمية الشائعة الآن « العمل الجماعى » ) .

وعليه فسنحاول ما وسعتنا الموضوعية أن نقدم الحجج التى لا تزال تتردد دفاعاً عن العزل ، ثم نحاول بعد ذلك أن نتبين السبب فى أنه وإن كان العزل فى الماضى ضرورياً ، بل ومفيداً ، فإنه لم يعد كذلك الآن ، وأن التقدم فى مجال العمل مع العميان يمضى فى اتجاه التكامل .

يقال إن العزل هو أكثر الطرق مسايرة للناحية الاقتصادية فى تناول مشكلات العميان ، فهذه الطريقة اقتصادية من الناحية المالية ، لأنه من الأرخص والأيسر دائماً إقامة معاهد ومبان وإدارتها لتقديم الخدمات بالقياس إلى تقديم هذه الخدمات فى المستوى المحلى ، فى كل مناطق البلاد . وهى اقتصادية أيضاً من وجهـــة نظر الخدمات . فهناك اقتصاد فى وقت الأخصائيين الثمين حين نجمع عملاءنا فى مركز واحد بدلا من أن يتبعثر وقت الأخصائيين فى الانتقال إلى مناطق مختلفة . هذا إلى أن العزل يجعل من الأيسر تقديم خدمات أفضل . فبتجميع عدد كبير من العميان فى مكان واحد تتحقق فرصة أفضل لإقناع حشد من المتطوعين — وحشد من المتبرعين بالأموال — بقيمة ما نقدمه من خدمات .

ويقال أيضاً إن التوتر والإحباط يهيمنان بالضرورة على العميان حين يتنافسون مع المبصرين ، حيث تتراكم عليهم وتلصق بهم مظاهر الشذوذ والغرابة . ومما يقال أيضاً إن العمى الذى يعيشه الأعمى مشاركة مع أقرانه

العميان يتيح له أن يستمد قوة من الموقف الجماعى ، ومن ثم تنخفض جداً وطأة العمى .

كذلك نسمع غالباً أن الأعمى وحده هو الذى يستطيع حقاً أن يفهم الأعمى . « فالمبصرون لا يستطيعون أبداً فهمهم . فلنترك العميان معاً ، إذ هم يحبون ذلك فى الواقع . فقلة من المبصرين هى التى تستطيع أن تفهم الإعاقة ، وهؤلاء هم الذين ينبغى أن يكونوا العاملين فى المراكز العازلة للعميان . وعندئذ يستطيع العميان أن يحصلوا من زملائهم العميان ومن هذه القلة المتفهمة من المبصرين العاملين على شىء من السعادة ، وأن يحققوا شيئاً من التدريب » .

والعميان على أية حال — كما يقال — غير مرغوب فيهم بين جماعات المبصرين : — « إنهم يستشعرون أنهم غير مرغوب فيهم ، ومن ثم سيشعرون دائماً بالشقاء فى أى موقف يجدون أنفسهم فيه بين المبصرين » . هذا إلى ما يقال من أن وضع العميان فى مواقف المبصرين إنما يتمخض فحسب عن معاملتهم معاملة الرضع ، كما يحدث مثلا عند وضع طفل أعمى فى مدرسة للمبصرين . « إن الأعمى سيكون أحسن بكثير عند ما يكون بين أناس لا ينفعلون بإعاقته ، ولا يتلفونه تدليلا » . ويقال أيضاً فى تحبيذ مواقف العزل ، إن الأعمى حين يجد نفسه بين جمع من أقرانه العميان لا يتعلم من ملاحظة ما يفعلون فحسب ، وإنما أيضا يوحى إليه هذا الجو فى الواقع بمزيد من الجهد لقهر إعاقته حتى يصبح شخصاً عادياً .

ولا ينبغى أن نفهم من هذا أن القوة الوحيدة الدافعة إلى العزل تأتى دائماً من خارج العميان ، من العاملين المبصرين فى الجمعيات ، أو من جمهور المبصرين . والحق — كما رأينا من قبل — أن عزل العميان كأى شكل من أشكال العزل يستند إلى دافع داخلى كما يستند إلى دافع خارجى . فهناك

عميان ولا شك لا يشعرون بأنهم « فى بيتهم » إلا وسط عميان آخرين . وهناك عميان يشعرون بأنهم لا يقدرون على التنافس فى مجال العمل إلا مع عميان . وهناك أيضا من العميان من لا يطلبون العمل فحسب ، وإنما أيضا الإقامة والترويح مع عميان . ( وهذا يصدق بصفة خاصة ولأسباب واضحة ، على العميان المتخرجين من المدارس الداخلية للعميان ، حيث تكونت زمالاتهم وصداقاتهم بين العميان ، فى حين لم تتح لهم أية فرصة لكسب صداقات بين المبصرين ) . ولكن ليس معنى هذا أنه يتحتم علينا أن نقبل هذا الموقف ، ناهيك بأن نحبذه .

ومن المسلم به أن التاريخ يكشف لنا عن أن العزل قد تمخض فى الماضى عن بعض المنافع لبعض الجماعات . بل ولربما كان العزل مرحلة ضرورية فى تقدم مجال العمل مع العميان . ولكن وإن كان العزل الطريقة الوحيدة العملية المتاحة فى الماضى لتناول العميان ، فليس فى هذا ما يثبت ، أو حتى يوحى بأننا ينبغى أن نقتصر على هذه الطريقة فى أيامنا .

فالعزل حين نتحدث بلغة العاملين والنفقات ، هو ولا شك أكثر الطرق الاقتصادية فى تناول العميان . ولكن كيما تكون الطريقة اقتصادية حقاً ، فينبغى أن ننظر إليها من زاوية نتائجها . وكثير منا يؤمن بأن نتائج طريقة التكامل تفضل بكثير نتائج طريقة العزل إلى حد يجعل طريقة العزل تبرز فى معظم الحالات غير اقتصادية ، ومن الممكن أن يكون فى تجميع العميان فى مكان واحد ما يقيم انطباعاً قوياً فى مجتمع المبصرين ، فهناك خطر حقيقى فى أن هذا النوع من التأثير يتعارض مع أهدافنا النهائية ، إن فى ذلك ما قد يثير الانطباع القوى عند المبصرين ويفتح أكياس نقودهم ، ولكن ليس فيه ما يضع فى الاعتبار إقناع المبصرين « بسوية » العميان ، كائنة ما كانت الدعاية المستخدمة .

أما فيما يتصل برغبة العميان أنفسهم فى العزل ، فقد سبق أن تناولنا الأسباب المسئولة عن ذلك . وليس الحل هو أن نستسلم لهذا الاتجاه للعزل ومن ثم ندعمه ، وإنما الحل أن نعين هؤلاء العميان بكل طريقة حتى يستشعروا الحاجة للهروب من مجتمع المبصرين على نحو ما عرفوه :

وصحيح أيضا أن ثمة قوة تستمد من موقف الجماعة ، عندما يكون هذا الموقف الجماعى خاضعا للضبط ويعيشه الشخص كموقف مؤقت . والخطر هو أن تتدهور هذه القوة إلى مواقف قوامها « البؤس يحب الصحبة » ، مما يستنزف قوة الفرد ويحل محلها مشاعر الاتكال على الجماعة . هذا إلى أن العزل يتمخض عن النتيجة المؤسفة بشكل مروع ، ألا وهى إقامة مشاعر الأقلية . وفى ذلك ما يزيد العداوات ما بين الجماعتين بدلا من تخفيفها ( على نحو ما يمكن أن يحققه موقف العلاج الجماعى ) ؛ وما يؤدى غالبا بالفعل فى الحالات المتطرفة إلى ما يشبه « برانويا » جماعية :

وبالنسبة إلى التوترات والإحباطات التى يستشعرها العميان فى تنافسهم مع المبصرين ، فعلينا أن نتنبه إلى أن هذا الأمر وإن كان حقيقيا فهو ليس « كل » الحقيقة . فلا بد أن نضع أيضا فى الاعتبار أن الهروب من موقف المنافسة يمكن أن يتمخض عن توترات أشد ، بل وكثيرا ما يؤدى إلى تلف حقيقى فى الشخصية .

وليس يهم ما يبدو على العميان من اكتمال الرضا فى موقف العزل ، فإنهم يستشعرون ، ولا مفر لهم من أن يستشعروا ، فى أعماقهم ، الحنق إزاء هذا الموقف الذى حرمهم الفرصة الفسيحة لاختيار الأصدقاء والأصحاب مما يتيحه مجتمع المبصرين . فالعزل يحرم العميان من كل أشكال العلاقات العادية بين الأشخاص ومن التجارب المثمرة . فموقف العزل بطبيعته محتوم عليه أن يؤدى إلى إشباعات متناقصة فى كل مجال .

فإذا كان العميان لا يجدون ترحيبا صادقا بهم فى دوائر المبصرين ، فالحل هو أن نعمل شيئاً لهؤلاء العميان وللدوائر المبصرين هذه . وفيما يتصل بهذه الدوائر بصفة خاصة يعد مبدأ العزل أمرا سيئا . كيف لنا أن نأمل يوما فى تثقيف الجمهور عن العمى والعميان ونحن نحتجز العميان فى عزل ؟ وفيما يتصل بالعلاقات العامة وتثقيف الجمهور فإن طريقة العزل هذه فى تناول العمى ان تتقدم بنا على الإطلاق ، من حيث إنها تستند أساسا إلى هذا التصور ، الذى هو بالفعل واسع الانتشار ، وقوامه أن الأعمى هو بشكل ما شخص « مختلف » ومباين .

وليس من شك فى أن الأعمى وحده هو الذى له معرفة الخبرة الحية بالعمى ، ومن ثم فعنده « تبين » حقيق لدلالة العمى . ولكن ليس فى هذا بأى حال ما يمنع إمكانية تثقيف المبصرين بحيث يصلون إلى فهم عقلى حقيق للعمى ، وإمكانية تدريب بعضهم بحيث يحققون تطابق التجربة المشتركة الذى يعد عظيم الأهمية . والحق أنه فى بعض المواقف يفيد الأعمى كثيراً من موضوعية وحيادية الأخصائى المبصر القدير من العاملين فى حقل العمى ، كما أنه فى مواقف أخرى يفيد من الخبرة الانفعالية للأخصائى الأعمى من العاملين فى حقل العمى ، خبرته بالوطأة الكلية للعمى .

وليس من شك فى أننا جميعا قد رأينا حالات كانت فيها الجماعات المبصرة ، وقد غمرها انفعالها إزاء العمى ، تقوم على التدليل المتلف للعميان (أطفالا وراشدين) . ولكن هنا أيضا لا ينحصر الحل فى أن نضع العميان حيث لا يستطيع الجمهور أن يضطلع بتدليلهم ، ولكن الحل هو فى أن نقوم بتوعية الجمهور بصور كاملة بحيث لا يقوم بهذا التدليل .

وأخيراً ففيما يتعلق بالموقف الجماعى للتعلم ، يكمن الخطر فى أن يتحقق هذا التعلم من أجل الحياة فى عالم عميان ، وليس فى عالم مبصرين ، وأن يتحقق التعلم هروبا من الواقع أكثر منه تكيفا للواقع . وعليه فمن الممكن أن تكون

نتائج التعلم ضارة بالفرد أكثر مما تكون نافعة . وكذلك فيما يتعلق بالوحى المستمد من الآخرين فى الجماعة .

فعلى الرغم من صحة ذلك فبوسع طرائق أخرى غير العزل أن تؤدى إلى نفس النتيجة — سواء باستخدام وسائط مختلفة للاتصال حتى نحيط الأعمى علما بنجاحات واتجاهات العميان الآخرين ، أو بتحقيق اتصاله بعميان آخرين يمكنهم أن يزودوه ببعض ما يمكن للجماعة أن تزوده به فى هـذا الاتجاه دون أن نعرضه للمواقف الجماعية العازلة .

وهكذا فإن العزل لا يبدو الحل الملائم والضرورى لمشكلات معظم العميان . من الممكن أن تكون هذه الطريقة هى الحل الوحيد المتاح فى عصرنا على الأقل ، بالنسبة إلى العميان من أصحاب الإعاقات الإضافية الأخرى . فالمعوقون بضعف عقلى شديد مثلا ، قد يستطيعون شق طريقهم فى مجتمع مبصر ، أو العمل فى مصنع مبصرين ، أو يتدربون فى بيئة مبصرين . وكذلك أيضا العميان من أصحاب الإعاقات البدنية الأخرى ، وبخاصة الصمم المنضاف إلى العمى ، فإنهم يمكن أن يتطلبوا فى الظروف الحالية الرعاية التى يتيحها العزل . وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن لطريقة التكامل أن تحرز خطوات من التقدم ، تتيح لكثيرين من المنتمين إلى هذه الفئات أن يتحرروا من حتمية العزل .

وحين يشعر شخص طاعن فى السن أنه لا يملك شيئاً يواجه به العبء المزدوج ؛ عبء الشيخوخة والعمى ، وحين نعجز عن أن نتغلب على هذا الشعور عنده ، فقد يكون العزل ضروريا بما يتيحه من خدمات إضافية . ولكن حتى فى هذه الحالة غالبا ما نجد فى بيت للشيوخ حلا أفضل مما نجده فى بيت عازل لعميان المسنين .

والأشخاص المعوقون بسبب المشكلات الانفعالية الخطيرة — الذين يعانون

مشاعر عصابية شديدة تجاه المجتمع والأخطار التى تواجههم فى عالم المبصرين — هؤلاء يمكن فى بعض الحالات عزلهم « مؤقتا » وذلك أثناء إعانتهم على التغلب على مشكلاتهم هذه .

وأخيراً بالنسبة إلى حديثى العمى قد يكون العزل المؤقت أثناء التدريب معيناً لهم ، وذلك « متى » استخدمناه بحيث تظل طبيعة المرء المؤقتة دواما ماثلة فى الذهن : ولكن من الأهمية بمكان أن توضع عدة حدود فى المراكز للترويح الجماعى ، وأن يوضع حد زمنى للعزل حتى يكون مفهوما أن العزل مؤقت ، وأن يكون معروفا بوضوح أن كل الهدف من وراء العزل هو تحقيق تكامل ، وذلك متى تم بلوغ هذا الحد الزمنى . ( ولا شك أن معارضتنا للعزل هذه لا تمس بأى حال تكوين منظمات العميان ، هذه التى ينحصر هدفها فى الاجتماعات الدورية الرامية إلى تحقيق المزيد من التقـــدم فى حقل العمل مع العميان ، أو إلى الدفاع عن حقوقهم فى ظل التشريعات القائمة أوالمقترحة ) .

فالعزل إذن ، على الرغم من استحالة استبعاده كلية ، فإنه « ينبغى الحد منه » ، وبصورة متزايدة . وسواء أكان الدافع إليه صادرا من العميان أو من المبصرين العاملين معهم من جمعيات العميان ، فإن العزل هو استسلام وهروب : إنه استسلام لمشكلات العمى أكثر منه قهر لها . وهو هروب من المجتمع المبصر ، كما أنه ، من جانب المبصرين العميان ، على السواء — هروب من مواجهة حقائق العالم الذى نعيش فيه ، إنه هروب من الحياة مع العمى ، ومن تقبل مشاعرنا إزاءه .

فإذا كان الدافع إلى العزل صادراً من جمعيات العميان فإنه يعبر عن عدم ثقتها فى قدرتها على تحقيق « التكامل » للعميان ، وعن عدم ثقتها فى فى استعداد العميان لأن « يتكاملوا » . وفى معظم الحالات لا يكون تصرف هذه الجمعيات صادراً عن مشاعرها الداخلية الخاصة — من حيث إنها لم

تفحص بعد مشاعرها الداخلية الخاصة – بقدر ما هو راجع إلى السوابق التاريخية . ولكن السوابق نفسها تولدت من شعور باليأس من محاولة تحقيق « التكامل » للعميان ( وذلك تماما على نحو ما نقول الآن إنه تحت ظروف معينة لا أمل فى محاولة تحقيق التكامل بالنسبة إلى بعض جماعات الإعاقة المزدوجة المختلفة ) .

وعلى أية حال ، فإنه وإن كان عزل العميان فيما مضى لأغراض متعددة قد بدا وكأنه الطريقة المثلى الوحيدة لمواجهة موقف ميئوس منه من الناحية العملية ، فقد أصبحت هذه الطريقة الآن ، بفضل التقدم[1] فى المعرفة فى عشرات السنين الأخيرة طريقة انهزامية فى مواجهة موقف ملىء بالأمل . ولقد بلغنا مرحلة من التقدم فى العمل مع العميان ينبغى أن يتوقف نجاحنا الحقيقى فيها على تكامل العميان ضمن مجتمع المبصرين . وينبغى أن يكون الهدف المزدوج لجمعيات العميان منذ الآن وصاعدا هو إعادة العميان إلى مكانهم الحق فى مجتمع المبصرين ، وتعليم هذا المجتمع ، بحيث يستطيع أن يتقبل العميان المتكيفين دون أن تغمره مخاوفه منهم ومشاعره إزاءهم .

**٢ – ورش خاصة بالعميان**

لعل أكثر ما يعرفه الجمهور من مؤسسات العميان هو هذه المدارس الخاصة التى أسهمت أيما إسهام فى تقدم العمل مع العميان : ولقد ناقشنا أمر هذه المدارس عند الحديث عن الحاجات التعليمية للأطفال العميان ، والمؤسسة الأخرى جد المعروفة فى مجال العمى هى الورشة الخاصة ، ولو

---

( ١ ) على خلاف الأشكال الأخرى من التقدم الاجتماعى ، وهى الأشكال التى غالباً ما تتحقق أولا فى مراكز التجمعات السكانية الكبيرة ، فإن فرصة هذا التقدم فى مجال العمى تزداد فى المناطق الريفية وفى الضواحى أو المدن الصغيرة . ومن سوء الحظ أن المراكز المزدحمة بالسكان هى التى تضطرها الظروف للاحتفاظ بالبرامج العازلة لإقامتها .

أن الجمهور عادة ما يلتبس عليه الأمر تماما فيما يتصل بمختلف أنواع الورش وطبيعتها وأغراضها .

ومن الزاوية التاريخية فإن العمل المنظم مع العميان أفاد فائدة كبيرة من هذه الورش الخاصة التى عادة ما تندرج تحت اسم « الورش تحت الحماية » ، إذ أن الغرض من معظمها كان فى الواقع أن يحتمى بها العميان من المنافسة المباشرة وجها لوجه فى الوظائف المادية فى الحياة اليومية ، ولكن الكثير من هذه الورش قد أنشئ بهدف مختلف يجعل الورشة مجرد مرحلة انتقال إلى عمل آخر . وهذا النوع من الورش قصد به أن يكون ورش تدريب يقبل فيها العميان كمتعلمين حتى يتم إعدادهم لتولى أعمال فى مجال الصناعة العادية .

وحين أنشئت هذه « الورش التدريبية » لأول مرة كانت تمثل خطوة للأمام — خطوة جد هامة وتبشر بخير كثير . ذلك أنها تمثل اعترافاً بأن العميان يحتاجون إلى تدريب خاص ، وبأنهم إذا تدربوا تدريبا صحيحاً يمكنهم أن يشغلوا الوظائف العادية . هذا إلى أن التدريب كان يتم تحت ظروف تتخذ مظهر العمل العادى الجاد ، فإذا وضعنا فى اعتبارنا الاتجاه السائد فى ذلك الوقت تجاه العمى والعميان ، فإن إنشاء هذه الورش يعد نقطة انطلاق جديدة ومليئة بالأمل . ( والواقع — انظر فيما يسمى « بالدول النامية » اليوم يمكن أن تنعم بمثل هذه القيمة ) .

ولكن فى معظم الحالات لم تحاول هذه الورش أن تميز ما بين عميان المولد ومتأخرى العمى . ولما كانت فرص التشغيل جد محدودة فى المناخ الاجتماعى السائد فى ذلك الوقت ، فإن الورش لم تحفل إلا قليلا بالتعليم السابق ، أو بالتدريب والخبرة العملية السابقة لعملائها . ولكن الصعوبة الكبرى بالنسبة إلى هذه الورش أنها أصبحت فى الواقع ، ليست فحسب مراكز تدريب كما قصد منها أن تكون ، وإنما أصبحت أيضا مراكز

تظامية للتشغيل المستمر . فبدلا من أن تقوم بتسريح عملائها الذين لا تستطيع تعيينهم فإنها احتفظت بهم كموظفين دائمين .

وهناك خطتان يمكن اتباعهما فى مثل هذا الموقف : إحداهما هى الاحتفاظ بصالح الورشة ، ليس فحسب بالذين يستحيل تشغيلهم ، وإنما أيضا بالممتازين الذين يستطيعون أن يجدوا فرصاً أخرى للتشغيل . والخطة الثانية هى الاستمرار فى تعيين الممتازين فى وظائف الحياة العادية . ولكن فى هذه الحالة سرعان ما يعم الورشة مجرد هذا النفر من العمال القليلى الكفاية ، وعندئذ يتدرب العملاء الجدد ، من الأكفاء وغيرهم ، فى جو مشبع بالضرورة « بعدم القابلية للتشغيل » مما يسم هذا النفر . وسرعان ما تصبح الورشة موجهة بحيث لا تستطيع التدريب لتغذية الصناعة العادية أو غيرها من أوجه التشغيل الخارجية . وإنما تدرب فحسب على العمل فى ورش تحت الحماية .

وهناك بعض الحاجة ولا شك إلى الورش تحت الحماية التى لا يقصد من ورائها شىء آخر . ولكن حتى لو استطاعت ورشة التدريب أن تلتزم بغرضها الأصلى – وهو أمل مستحيل عمليا – فإنها لم تعد تستطيع اليوم أن تخدم أى غرض نافع . فالأشخاص الذين ينزل بهم العمى وهم راشدون ، وعند أغلبيتهم الساحقة خبرة سابقة بالعمل – يحتاجون أول ما يحتاجون إلى التدريب على العمى » . ومن ثم فإن مركز التأهيل هو اليوم وريث ورشة التدريب حسب تصورها الأصلى . وعندما يحتاج واحد من هؤلاء إلى تدريب متخصص على نوع جديد من العمل ، صناعياً كان أو غير صناعى كما رأينا ، فإنه يستطيع أن يتلقاه على نحو أجدى فى مدرسة نظامية ، أو وفق برنامج نظامى مختص بهذا النوع من العمل .

أما عميان المولد وغيرهم من العميان الذين ليست لديهم أية خبرة بالعمل

قبيل العمى فقد كانوا الفئة التى استفادت أعظم فائدة من ورش التدريب فى الماضى . ومن الناس من لا يزالون يعتقدون أن هناك حاجة إلى ورش التدريب الخاصة لخريجى مدارس العميان . ولكن هذا كما رأينا من قبل يعدّ طعناً فى المدارس الداخلية ، وعلى أى حال فإن الذى يلزم ليس مزيداً من التدريب الانعزالى ، وإنما إرشاد نفسى خاص يعين هؤلاء الناشئين على أن يحققوا التكيف المزدوج للحياة الراشدة وللحياة فى مجتمع المبصرين . فإذا كانت هنالك حاجة إلى تدريب خاص مهنى أو صناعى أو غير ذلك من أنواع التدريب ، فإن ذلك ينبغى تلقيه فى المعاهد التعليمية المخصصة للمبصرين .

ولكن المشكلة هنا تتركز فيما يبدو فى هؤلاء المتخرجين من مدارس العميان والذين هم من ناحية ما أقل من المتوسط ، ومن ثم فهم مهيأون للقبول بصفة دائمة فى الورش تحت الحماية .

إن « الورشة تحت الحماية » هى على وجه الدقة مركز للتشغيل الدائم للعميان غير القادرين على التنافس مع المبصرين . والعاملون فيها ليسوا فى الواقع موظفين ، ولكنهم عملاء للجمعية التى تتولى تشغيل الورشة والتى تعينها مالياً بالضرورة ، وأحياناً إلى حد باهظ . وغرض مثل هذه الورشة أن تهيئ لعملائها ما يشغلهم بصفة مستمرة وأن تمدهم بنوع من الدخل مع الشغل .

وكما رأينا يوجد مجال فى مثل هذه الورش تحت الحماية للعناية بالعميان منخفضى الذكاء . كما قد تكون هنالك حاجة إليها بالنسبة لفئة العميان ممن لو كانوا مبصرين لوجدوا أنفسهم فى هامش القوة العاملة المنتظمة ، أو فى موضع لا يبتعد كثيراً عن هذا الهامش . ذلك أولا لأن الأعمال « الهامشية » تكاد تكون كلها حكراً على العميان ، وثانيا لأن العمى يتطلب من الشخص أن تكون لديه فرصة امتياز ما حتى يقدر على التنافس .

ونفس كلمة « إعاقة » توحى بهذا . ولكن هناك عدداً من العميان تماماً ، كما أن هناك عدداً من المبصرين ، ليس لديهم هذا الامتياز ، ومن ثم ينبغى أن نعدهم ضمن « الخائبين » وذلك بقدر ما يتصل الأمر بالعمل فى مواقف الحياة العادية . فبالنسبة إلى هذا الصنف من العميان يمكن للورشة تحت الحماية أن تجيب على حاجة حقيقية .

وهناك صنف آخر ، ونعنى أولئك العميان المصابين بإعاقة أخرى ، تضيق أمامهم فرصة العمل ؛ فقد يمكنهم أن يعملوا فى الصناعة بعض الوقت ولكن لا يمكن تشغيلهم بصفة دائمة . ولكن إن كانت فرصة الاختيار متاحة فلا ينبغى لهؤلاء الأشخاص أن يعملوا فى ورشة تحت الحماية ، وإنما فى ورشة يتم تصميمها على أساس الإعاقة الأخرى التى تعد مسئولة عن تضييق مجال العمل .

ومن هنا فورش « تحت الحماية » إن كان لها أن تبقى على الإطلاق ، فينبغى أن نتبين فى إقامة حدودها وأن نعلن ذلك على الجميع ؛ فهى ليست « ورشة عمل للعميان » ، وإنما هى حل نوعى لهذا النفر من العمال الهامشيين ، ممن يعد عجزهم عن الحصول على عمل فى السوق الحرة للمبصرين راجعا ببساطة إلى كونهم « هامشيين » . ولكن لسوء الحظ نجد فى الوقت الحاضر كثيراً من هذه الورش ، أو من الورش التى تجمع ما بين خصائص ورش الحماية وورش « الإنتاج » ، تضم عدداً كبيراً من العميان ذوى الكفاية العالية ، والذين ما كان لهم — لو كانت الظروف مثالية — أن يوجدوا فى مثل هذا المكان .

والنوع الثالث من الورش هو « ورش الإنتاج » ، وهى ورش تخلصت من الكثير من مظاهر « الحماية » التى نجدها فى ورش الحماية بالمعنى الدقيق : فهذه الورش هى ورش للتشغيل العازل للعميان ، ممن يقتدرون بالفعل على العمل فى المصانع العادية . وهى لا تقبل من العميان القليلى الكفاية ، إذ أن

هذه الورش تعمل فى تنافس مع المصانع العادية . فعمالها العميان ليسوا عملاء جمعيات وإنما هم عمال بالمعنى الدقيق ، يكسبون حقاً أجرهم . مثل هذه الورش لا تتلقى معونات ، ولكنها تعمل إما على أساس من الربح أو على الأقل لا تخسر .

ولكن هذه الورش قلما توجد فى صورتها النفسية هذه . فإن ما نجده فى كثير من الأقاليم هو ورش تجمع فى نفس الوقت ما بين ورش التدريب ، وورش تحت الحماية بالمعنى الدقيق ، وورش الإنتاج . وقد نجد ورشة من نمط ورش الإنتاج ولكنها تتلقى معونات ، إما بصفة مباشرة إلى حد ما ، وإما بصفة غير مباشرة إلى حد ما فى شكل إعفاءات وقوانين جافية .

بعض هذه الورش أنشأتها جماعات خيرية لا تفهم الحاجات الحقيقية للعميان فى المجتمع ، ومن ثم فقد حسبت أن هذه الورش هى الحل الأمثل . ومع ذلك فغالباً ما كان المؤسسون يدركون أن الورشة العازلة ( سواء أكانت ورشة إنتاج أم غير ذلك ) لم تكن هى الحل الأمثل ، ولكنها أفضل حل يمكن تحقيقه فى ظروفهم الراهنـــة . كانوا ينظرون إلى الورش ( وما زال البعض يعتقدون ذلك ) على أنها ضرورة مؤقتة ، فى وقت يرفض فيه أصحاب الأعمال تشغيل العميان المقتدرين فى أعمال يستطيعون إنجازها . فبالنسبة إلى هؤلاء المؤسسين تعد الورشة شرا لا بد منه ، فى وقت لا تزدهر فيه العمالة ، أو فى منطقة تكثر فيها البطالة ، باعتبارها الحل الوحيد الممكن الذى يتيح عملا للعميان المقتدرين وشيئاً من الكسب ، وشيئاً من الكرامة .

وينبغى أن نسلم بأن مثل هذه الورش قد كانت ويمكن أن تكون فى مرحلة من مراحل التطور التاريخى لتشغيل العميان . ولكن ينبغى أيضاً أن نتنبه إلى أن ورشة الإنتاج تتوقف عن تحقيق هدفها عندما تكون فى نفس الوقت ورشة تدريب ، أو ورشة تحت الحماية . هذه الملاحظة هامة

لعدة أسباب ، أحد هـــذه الأسباب هو أن ورشة التشغيل كيما تضطلع بهدفها فلا بد لها من أن تدار بفاعلية ، واضعة فى اعتبارها أن تحقق إنتاجاً يستطيع مواجهة المنافسة ( المنافسة على أسس عادلة ) مع المبصرين . فمتى توقفت عن أن تدار على هذا النحو زحفت عليها « التسلطية الوالدية » ، مما يتمخض عنه تدمير المعنوية . وعندئذ يكون قد تداعى أحد الأهداف الأساسية للورشة .

وأحياناً ما يوجه النقد إلى ورش الإنتاج لتشغيلها بعض المبصرين فى بعض الأعمال . وقد يجد هذا النقد ما يبرره فى بعض الحالات ، ولكن يمكن القول بصورة عامة إن الاستعانة بالمبصرين حينما يزيد ذلك من فعالية الورشة تعد أمراً حكيما ،وفى غير صالح العاملين مع العميان . فمهمة ورشة الإنتاج هى تشغيل العميان على نحو يتيح لهم خير عائد من عملهم . وقد تكون خير وسيلة لتحقيق ذلك التأليف ما بين أعمال بصرية وأعمال غير بصرية ، بحيث يوكل إلى كل فئـــة الأعمال التى تستطيع إنجازها بأقصى فعالية .

ولكن حتى حين تنجح ورشة الإنتاج فى الإبقاء على طابعها الأصلى وهدفها الأصلى ، فإنها تنطوى بالضرورة على خطر ، ليس خطر العزل فى موقف العمل فحسب ، وإنما أيضاً خطر امتداد هذا العزل إلى خارج نطاق العمل — إلى الترويح ، وحتى إلى الإقامة ، بل وحتى إلى أساليب التفكير نفسها . وحتى حين يكون القائمون على الورشة مناهضين للعزل ، فإن العميان العاملين فيها ينتهى بهم الأمر إلى ذلك بصفة طبيعية نتيجـــة تجميعهم معا فى العمل . وسرعان ما يلتقون معا فى المساء ، ويشتركون معاً فى الترويح ، ويعيشون فى نفس المنطقة — مما يسارع إلى تحطيم الرغبة فى الحياة فى عالم المبصرين ، وتأتى فى أثر ذلك كل الإحباطات التى ينطوى عليها العزل . ( ويستطيع القارئ أن يتبين ضآلة عدد الفقدانات التى

يمكن أن تجد خير تأهيل لها فى ورشة تحت الحماية ، حتى ولو كانت ورشة إنتاجية ، وأن يتبين كثرة الفقدانات التى يمكن أن تتعرض للاستفحال فى هذا الجو ) .

وأكثر من ذلك أن العميان المقتدرين من العاملين فى هذه الورش يمكنهم أن يحصلوا على وظائف أفضل بكثير ، لو أن أموال المعونة التى تبذل لهذه الورش أنفقت بدلا من ذلك فى تشغيلهم لإيجاد أعمال لهم ولأمثالهم فى المصانع العادية .

وكائنة ما كانت ظروف ورشة الإنتاج الصناعى الخاصة بالعميان ، فإنها تنطوى على عيب خطير هو تدعيم الصورة الجامدة التى قوامها أن جميع العميان ينبغى أن يشتغلوا بالصناعة . وحتى بصرف النظر عن الورش فكثير من العاملين فى مجال العمى ( بما فى ذلك أخصائى التشغيل ) يقعون ضحية لإغراء التدريب من أجل التشغيل فى المصانع ، فيضعون فى المصانع من العميان من تنأى بهم استعداداتهم عن ذلك تماما . وليس هناك ما يعيب العمل فى المصانع ، ولكن غالبية المبصرين أنفسهم ليسوا بعمال صناعيين ، وليس هناك ما يدعو إلى أن يكون أغلبية العميان صناعيين .

وعليه ففى أحسن الحالات ينبغى النظر فى ورشة الإنتاج على أنها بديل مؤقت كانت من قبل مفروضة على جمعيات وعلى العميان العاملين بسبب رفض جمهور المبصرين الاعتراف بإمكانيات العميان :

ولكن من الواضح أن هذه الورش تحت الحماية سواء من النوع الإنتاجى أو غيره لا يمكن الاستغناء عنها دفعة واحدة ( فى الولايات المتحدة ) . فجمعيات العميان قد أنشأت هذه الورش مما يعنى تعاقداً ضمنياً مع العميان بتشغيلهم الدائم : فإن كنا قد أقمنا عالماً من العميان ،

وسقناهم إليه أو دفعناهم إليه فليس حل المشكلة هو أن ندمر هذا العالم ، ولكن الحل بالحرى هو أن نتثبت بألانسوق أو ندفع أى أحد من جديد ، وأن نتخذ من الخطوات فى نفس الوقت ما يمكن أكبر عدد ممكن من مغادرة هذا العالم .

والمهمة الأخيرة عسيرة ، ولكن ينبغى الاضطلاع بها ما وسعتنا الحيلة . فنحن نلتزم إزاء هؤلاء العميان بتشغيلهم ما دمنا قد سقناهم إلى الاعتقاد بأننا سنقوم بتشغيلهم ، وذلك حتى يخلصوا من مشكلاتهم الخاصة بنجاح بهيئهم لمغادرة الورشة تحت الحماية .

ويوجد اليوم نقاش كبير يدور حول ما إذا كان على الورش المختصة بتشغيل المعوقين وحدهم أن تتحد فيما بينها ، وطالما وجدت ورش الإنتاج ، فهناك كل سبب يحمل على تنظيمها اعترافا بكرامة العاملين بوصفهم عاملين ( وهذا بالطبع لا يتم فى صورة اتحاد يتسم بالتسلطية الوالدية ) . أما توحيد ورش التدريب وورش تحت الحماية بالمعنى الدقيق فهى مسألة أكثر تعقيدا ، وذلك لأن العاملين إما أنهم طلاب يتعلمون أو عملاء جمعيات للعميان . فى مثل هذه الورش يبدو من الضرورى على الأقل أن يسهم فى إدارتها ممثلون عن تنظيمات العمل ، ليس فحسب من قبيل التعاون على مستوى الإقليم ، وإنما أيضا لحماية حقوق العمل من ظروف المنافسة غير العادلة ، ولحماية حقوق العاملين العميان الذين هم طلاب أو عملاء فى هذه الورش .

وخلاصة القول ، ينبغى أن نعمل فى اتجاه يبعدنا عن ورشة التدريب تماما ، وعن ورشة الإنتاج ، اللهم إلا أن تكون مجرد ضرورة وقتية ، على أن تكون كلية وحسب ورشة إنتاج . وأخيرا ينبغى أن نضع فى تخطيطنا مجرد الاحتفاظ بورش تحت الحماية بمعناها الدقيق ، وأن نحتفظ بها فحسب فى الحدود التى تحتمها الضرورة فى الظروف القائمة .

### ٣ – عمل الجمعيات فى حاضرها ومستقبلها

إن تنظيم العمل مع العميان ، كما يتضح من كتابنا ، إنما هو الآن إلى حد كبير فى مرحلة انتقالية . ويسود الجمهور شعور عام بأن كل شىء يمكن عمله من أجل العميان قد تم عمله فعلا ؛ وجمهور الناس يسهم بالمعونة فيشترى الأحزمة ومصنوعات القش « مساعدة للعميان » . والناس يعرفون مدارس العميان ، ويرون العميان بعصيهم أو كلابهم المصاحبة ، وعندهم شعور غامض « بأن الكثير فى هذه الأيام يجرى عمله من أجل مثل هؤلاء الأشخاص » ولكن القادم الجديد إلى الحقل تهوله ضآلة تقدم العمل فى هذا الميدان – بعد كل هذه السنين .

فقد كان هناك عميان منذ فجر التاريخ . وفى ثقافة أو أخرى أضفى الناس عليهم قدسية على أنهم يملكون قدرات خارقة ، وتعرضوا للإهمال أو كانوا موضع رعاية كعجزة .

ولكن حتى القرن الماضى ، حيث اخترع « البراى » فإنه بحسب علمنا لم يعمل شىء على نطاق واسع لإعانة العميان على قهر إعاقة العمى بشكل إيجابى . ففى زماننا ظهر كلب القيادة ، والكتاب الناطق وكثرة من الأجهزة والمخترعات . ولكن حين نتأمل مدى التقدم فى المجالات الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية فإننا ندهش من ضآلة ما قد تم إنجازه للتغلب على مشكلات العمى – اللهم إلا فى بعض حالات متناثرة .

ويرجع التقدم المعاصر للعمل مع العميان الراشدين إلى مدارس العميان التى أسست فى القرن الماضى . كان لا بد من عمل شىء لمساعدة خريجى هذه المدارس ، فظهر المتطوعون الذين يقرأون عليهم ، ويصاحبونهم ، وينظمون لهم البرامج الترفيهية إلى غير ذلك . وقد يستطيع بعض علماء الاجتماع فى المستقبل أن يقدموا تفسيرا لهذه الظاهرة الغريبة ، وهى أنه بعد كل هذه

السنين التى مرت على المدارس الخاصة والبرامج الخاصة بالعميان فلا يزال الوهم المتعلق « بتعويض » سحرى أو « بحاسة سادسة » يعوق نجاح أى عمل بناء لمساعدة العميان على استخدام حواسهم الباقية : إن الأعمى حديث العمى كان من الممكن أن يطلب بعض الإرشادات فيما يتصل بتعرف الأصوات من أعمى قديم العهد بالعمى ، ولكن قبل ظهور برنامج الجيش الأمريكى للعميان من ضحايا الحرب العالمية الثانية ، فإنه لم يتم عمل شىء فى سبيل تقديم خدمة منهجية للعميان فى هذا المجال الحيوى جدا ، وحتى فى الوقت الحاضر فإن العمل فى هذا الاتجاه لايزال مقصوراً من الناحية العملية على مراكز التأهيل الشامل .

وكذلك الحال فيما يتصل بالتحرك ، فقد كان من الممكن أن يقدم أحد العميان بعض النصائح الثمينة لأعمى آخر فيما يتصل باستخدام العصا ، ولكن باستثناء ذلك كان على عميان المولد ومتأخرى العمى أن يكتشفوا بأنفسهم كيف يسيرون أو كيف يتلمسون ويتحسسون طريقهم أو يستسلمون لمصاحب . وكان كلب القيادة خطوة كبرى فى طريق التأهيل والاعتماد على النفس فى مجال التحرك ، وأخيرا بدأ ظهور التدريب العلاجى للتحرك ، والتدريب الفنى للمشتغلين بهذا العلاج : ولكن فى هذا المجال أيضا فإن كثرة من المؤسسات والجمعيات لاتزال غير مدركة للأهمية الحيوية للتدريب الحركى ، ولا لضرورة تدريب حواس الأعمى من ناحية ، وتدريب الاخصائى من الناحية الأخرى .

وأيضا يبدو غريبا أنه حتى الآن قل أن يكون هناك إدراك للحاجة إلى التمييز ما بين مختلف مشكلات عميان المولد ومشكلات متأخرى العمى ، أو إلى التمييز ما بين مكتملى العمى والمبصرين جزئيا :

وربما استطاع عالم الاجتماع فى المستقبل أيضا أن يقدم تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة ، وهى أنه فى عصرنا ، عصر الدراسات الاجتماعية والوعى بالتكامل ،

فإن عزل العميان لايزال يلقى دفاعا حرا حارا ومساندة متصلة ، وربما استطاع هذا العالم أيضا أن يكتشف السر فى أنه حتى الآن قل من يدرك هذه الحقيقة وهى أن مشكلة العميان إنما هى مشكلة إجماعية أقلية ، ومن ثم فإن هذه المشكلة تستلزم نفس النوع من الدراسة والتوعية العامة اللتين تستلزمهما مشكلة جماعات الأقلية الأجناسية والدينية . ولعله أيضا أن يفسر لنا السر فى أنه بينما الكثرة الكثيرة من المشتغلين مع العميان يناصرون الرأى القائل بأن العميان هم « مثل غيرهم تماما » ؛ فإن الكثرة الكثيرة من من جمعيات العميان والعاملين بها لايزالون دائبين على شن حملات دعائية من شأنها أن تدعم بطرق مختلفة الفكرة القائلة بأن العميان مختلفون غرباء جديرون بالرثاء .

صحيح أنه قد تحقق الكثير من التقدم فى عديد من مجالات البعث والإحياء ، وذلك فى كل مجال على حدة . ولكن من الغريب هنا أيضاً أن ليس الجمهور فحسب وإنما أيضاً جمعيات العميان والعاملون فى الميدان يركزون جهدهم على مجال أو على آخر من مجالات الابتعاث على اعتبار أن فيه كل الكفاية . فالأمن المـــالى ، وإعادة التشغيل ( فى أى عمل ) والتحرك والكتب الناطقة ، أو « البراى » وأخيراً « التكيف » ، كل منها بدوره يغلب التشبث به على أنه الحل المكتمل لكل مشكلات العمى .

ومع ذلك فإنه رويداً رويداً ينمو الوعى من ناحية بأن العمى هو إعاقة متعددة الجنبات ويتطلب من ثم « ابتعاثاً » متعدد الأوجه ، ومن ناحية أخرى ينمو الوعى بأن كل أعمى هو حالة فردية له حاجاته الخاصة وتنبغى مساعدته بوصفه حالة فردية .

هذا الوعى من شأنه فى الغالب أن يفجر إمكانيات لاحدود لها ، وقد أشرنا إلى بعضها فى هذا الكتاب . كثير من هذه الإمكانيات متوافر بالفعل ، وكثير من الإمكانيات الجديدة تنفتح كل يوم إلى حدّ أنه لاحاجة تدعو

بحال إلى أى ازدواج فى الخدمات فى أية منطقة ، ولا إلى أى تبرير لإضاعة الوقت والجهد والمال نتيجة تنافس الجمعيات . ومن زاوية المثل الأعلى ، ينبغى أن نعمل على خلق ظروف يجد فيها كل أعمى ، فى كل منطقة جغرافية ، قدرا مقبولا مما يحتاج إليه من مساعدة متخصصة وينبغى أن يتضمن ذلك مساعدة الأعمى فى عملية تأهيله ، وتوفير الخدمات المتصلة له من قبيل القارئين المتطوعين وتوفير المعلومات التى تلزمه فى مجال التشريعات وفى مجال المخترعات الجديدة ، كما ينبغى أن يتضمن ذلك على الصعيد القومى البحوث [1] الرامية إلى كشف وتجميع واستثمار إمكانيات جديدة لعملية الابتعاث .

وأحياناً ما نجد من المشتغلين مع العميان من يؤمن بأنه ما دامت جهودنا لتحقيق تكامل العميان ضمن المجتمع تلقى مزيدا من النجاح فإننا نقترب من اليوم الذى نجد فيه أنفسنا بغير حاجة إلى أية جمعية متخصصة ومتفرغة لتناول مشكلات العمى . وركود تقدم العمل حديثا مع العميان يدل فيما يبدو على عكس ذلك تماما .

إن مواجهة مشكلات العمى من جانب الجمعية العادية المؤلفة من غير العميان ، إنما تستند إلى كثرة كثيرة من العوامل المجهولة إلى حد أن الأعمى الذى يتجه إلى مثل هذه الجمعية طالبا إرشادها ومساعدتها فيما يتصل بإعاقته عادة ما يجد نفسه ضائعا فى متاهة . فالجمعيات العامة غير المتخصصة سيتحتم عليها أن تجيب على كل المشكلات الأخرى للأعمى ، ولكننا لا يمكن أن نتوقع أن

---

(١) قام « مكتب الولايات المتحدة للتأهيل المهنى » أخيراً بإجراءين هامين فى هذا المجال . الأول يتعلق بمنحة إلى معمل شيانج فى جروتون بولاية كونكتيكت من أجل البحوث الخاصة بالسمع . والثانى يتضمن عقداً ضخماً مع معهد التكنولوجيا بولاية ماساشوستس من أجل البحوث الشاملة على مجالات الحواس ، وعن طريق هذا المكتب شجعت الحكومة الفيدرالية بحوثا رئيسية وتطبيقية فى كل مجالات التأهيل .

تكون لديها المعرفة والمهارات المتخصصة اللازمة لتناول مشكلات العمى عند الأعمى. وفضلا عن ذلك فكلما ازدادت إمكانيات الابتعاث ازدادت الحاجة إلى هيئات من الخبراء الذين أحسن تدريبهم فى مختلف المجالات ليخرجوا إلى الواقع الإمكانيات للمزيد والمزيد من العميان الصغار والكبار ، الذين لاينقصهم إلا البصر ، والذين لديهم مختلف الإعاقات الإضافية . وهناك أيضاً حاجة ملحة إلى عمل قائم بذاته من أجل تأهيل المبصرين جزئياً . وسوف تكون هناك لمدة طويلة حاجة إلى المتطوعين الأذكياء الذين أحسن توجيههم ليكونوا « عيونا للعميان » فى المواقف التى لاغنى فيها عن البصر .

فى مثل هذا العمل المتعدد الجوانب هناك مجال لكل من الهيئات الحكومية والجمعيات الخاصة — فالهيئات الحكومية ، على نحو ما حدث فى جهات مختلفة تأخذ على عاتقها بعض الأعمال التى قامت بها من قبل الجمعيات الخاصة على نحو طبيعى ، تاركة لهذه الجمعيات ، بما لها من طبيعة مرنة ، الحرية فى تطوير إمكانيات جديدة . فعلى سبيل المثال كان على الجمعيات الخاصة فى الماضى أن تمد العميان بالإعانات المالية لإسعافهم ، مما أجبرها على أن تركز جهودها بصورة أساسية على محاولة إعادة الأمن المالى للعميان . أما فى السنوات الأخيرة فإن « إعانة الحكومة الفيدرالية للعميان المحتاجين » قد حملت قدراً كبيراً من هذا العبء مما منح تلك الجمعيات حرية العمل فى الجديد من أشكال الابتعاث . إن تقسيم العمل بصورة أساسية وأكثر فاعلية ما بين الجمعيات فى أية منطقة إنما يكون على أساس من الخدمات ، حتى يستطيع أى أعمى أن يجد مختلف أنواع المساعدة التى يحتاج إليها متوافرة له فى جمعية من الجمعيات .

ولكن كلما مضى العمل مع العميان فى تطوره فسنكون بحاجة إلى أن ننتبه تماماً إلى هذا الأمر ؛ إن مهمة جمعيات العميان هى أن تتناول « مختلف مشكلات العمى » تلك التى تتصل بعملائها أو بالجمهور ، لا أن

تتناول « كل مشكلات الأعمى » . وكلما كان هناك تخصص فى العمل ، بحيث نحيل الأعمى إلى جمعيات أخرى لتتناول ما لديه من مشكلات ليست بمشكلات عمى ، فإن كل حاجاته سوف يمكن إشباعها بصورة أكثر فاعلية وسوف تساعد مثل هذه السياسة على تحقيق تكامل الأعمى ضمن مجتمع المبصرين ، كما ستساعد على تحقيق تكامل عملنا وجمعيتنا ضمن الصورة العامة . فإذا نحن حاولنا أن نتناول كل مشكلات عملائنا ، لأنهم عميان ، فإننا سوف نقطع عنهم وعن أنفسنا كل نفع ممكن من أعمال الآخرين ومن وجهات النظر الأخرى . ونعيد القول بأن عملاءنا بعد ذلك يتعرضون لعزل لا مبرر له ، كما أننا أيضاً نعزل أنفسنا .

وفى مثل هذا الحقل المتطور نجد من الأهمية بمكان أيضاً أن نقوم أعمالنا وخدماتنا التى تخصصنا لها ، وأن نعيد تقويمها بصفة مستمرة فما نعتبره أهم عمل نضطلع به فى فترة ما قد لا يكون أهم إسهام نستطيع أن نقدمه بعد ذلك حتى بوقت قصير . وعلى ذلك فإن المرونة الفطنة ، والانفتاح للتعلم ، يعدان أساسيين فى العمل مع العميان اليوم .

ومن الضرورى إلى أقصى حد أن نضطلع بتقويم عملنا فى ضوء إسهامه فى تحقيق الهدف الذى ترسمه فلسفتنا الخاصة عن العمل مع العميان . إن عدد الخدمات التى تم تقديمها وعدد الأشخاص الذين تلقوا هذه الخدمات من جمعياتنا إنما يعد من الإحصائيات القيمة التى ينبغى أن تتوافر . ولكن خير معيار لتقدمنا فى مجال الابتعاث للأعمى من ناحية ،وللمجتمع من الناحية الأخرى ، إنما هو فى نهاية الأمر ليس عدد الأشخاص الذين قدمت لهم الخدمات بقدر ما هو عدد من قدمت لهم خدمات سديدة إلى حد أنهم لم يعودوا بحاجة إلى خدمات جمعيتنا . فغرضنا النهائى هو أن نساعد أكبر عدد ممكن من العميان على أن يحققوا بإزاء عماهم هذا التكيف الذى يجعلهم يتحررون من الاعتماد علينا ، ومن الاعتماد غير السوى على أى شخص .

# الفصل السادس والعشرون

# العاملون مع العميان

## ١ – العاملون من العميان أم من المبصرين

« إذا لم تقم جمعيات العميان نفسها بتشغيل العميان فيها كأعضاء هيئاتها العاملة فكيف لها أن تتوقع من غيرها أن يقوم بتشغيلهم ؟ وماذا يمكن أن يوحى به هذا فيما يتصل بثقتها فى العميان ؟ » إن هذا الرأى قد تجد الكثرة من المنظمات صعوبة فى معارضته . ولكنه أحياناً ما يستخدم وسيلة لتبسيط سؤال معقد وهام : من الذى ينبغى تفضيله للعمل ضمن العاملين فى جمعيات العميان – المبصر أم الأعمى ؟

إن الأعمى العامل فى حقل العمى هو أول من تشغله هذه المسألة ، وبصورة جد مباشرة . ومن الممكن أن تكون خير وظيفة أو خير عمل مهنى له هو فى منظمة للعميان . ولكن من الممكن بدرجة مساوية أن تكون خير فرصة له فى منظمة غير تلك . إن ظاهرة العثور على عمل للأعمى خارج حقل العمل مع العميان قد تنطوى فى ذاتها على أهمية قصوى من زاوية ثقة الأعمى بنفسه .

والأعمى العامل فى حقل العمى ينبغى أيضاً أن ينظر إليه من زاوية النمو المطرد فى المهارات . فالأعمى يمكنه بصفة خاصة أن يكون أحسن حالا بكثير إن هو وجد عملا خارج حقل العمى ، وذلك من أجل تطوير وتنمية مهاراته . فهو بسبب خبرته الخاصة كأعمى ، قد يكون غير قادر على العمل إلا مع العميان إلى حد يجعل من المستحيل عليه أن يحقق نموه

المهنى الكامل فى حقل العمى ما لم يتهيأ له فى وقت ما من حياته العملية أن ينمى قدراته بخبرة مناسبة خارج حقل العمى تحت إشراف الإخصائيين .

وينبغى أيضاً أن نضع العميل موضع الاعتبار . قد تكون العلاقات ما بين الأعمى الأخصائى والأعمى العميل من خير العلاقات ، ولكن ظاهرة العمل وحدها لا تكفى لضمان ذلك . فأحياناً ما تحول ظاهرة المشاركة فى العمى دون إقامة علاقات سوية . فقد يكون الأعمى الأخصائى راضياً عن نجاحه فى التغلب على إعاقته إلى حد أنه لا يستطيع أن يتعاطف تماما مع عميله حين يفضل أن يفشل فى ذلك . أو ربما كان نجاحه عائقاً من وجهة نظر العميل . أو ربما تطابق مع عميله الأعمى إلى حد مشاركته إياه فى مشاعره فلا يقتدر بذلك على تقديم العون للعميل فى مواجهته لمشكلاته الأساسية . ولكن من الممكن أيضاً أن يكون هذا الأعمى الأخصائى مثالا ممتازاً وذا فهم مكتمل إلى حد أنه ربما يكون هو وحده الذى يستطيع مساعدة العميل الأعمى .

ومشكلة توعية الجمهور تدخل أيضاً فى الصورة . فجمعيات العميان ينبغى ولا شك أن تضرب المثل لغيرها من الجمعيات ، وذلك بتشغيلها للعميان كعاملين فيها . ولكن تقوم أيضاً حجة مضادة مؤداها أن تشغيل العميان فى جمعيات العميان ليس من شأنه أن يؤدى إلى التوعية الصحيحة للجمهور الذى قد يعتريه الشعور بأن المجال الرئيسى للعميان العاملين هو جمعيات العميان ، ومن ثم لا يتعرف الجمهور القيمة الحقة للعميان العاملين .

إن مشكلة العميان الأخصائيين التى غالباً ما تتخذ صورة منحهم الأسبقية ، ( مما يشبه كثيرا أسبقية المحاربين القدماء ) . هذه المشكلة ينبغى دراستها فى ضوء آثارها على العلاقات ما بين الجمعيات ، وعلى العلاقات ما بن مختلف العـــاملين عميان ومبصرين ، وعلى هيئة العاملين

بالجمعيات . فمن ناحية نجد أن الرفض المطلق لتشغيل عميان جدد أو لترقية العميان العاملين بالفعل يخلق عند الأعضاء العاملين من العميان شعوراً طبيعياً بالحنق . يتحول الحنق متجهاً ضد العاملين المبصرين الذين « يخطفون منهم الوظائف » . ومن ناحية أخرى إذا كانت سياسة الجمعية تقوم على منح امتيازات خاصة للعاملين من العميان ، وعلى ترقيتهم فوق العاملين المبصرين الذين يؤدون عملا ممتازاً ، فإن العكس يحدث ، إذ يتحول حنق المبصرين متجها ضد العميان .

فى كلتا الحالتين تتحطم الروح المعنوية لهيئة العاملين مع العميان وتنخفض القدرة على العمل لصالحهم . ويمكننا فى سهولة أن نتبين الآثار السيئة لمثل هذا التدهور فى المعنوية على نمو جمعيات العميان . فسرعان ما تعجز عن اجتذاب عناصر طيبة جديدة ، سواء من العميان أو المبصرين ، بسبب الصدام داخل الجمعيات . فالعاملون سـواء من العميان أو من المبصرين ( تبعاً لما تكون عليه سياستنا ) يعلمون أن ليس لهم من مجال للترقى فى جمعياتنا ، ومن ثم فإنهم لا يأتون إلينا على الإطلاق ، ويأتون لفترة قصيرة فحسب وأخيراً فإن الالتزام المتواصل والمسرف بتشغيل العميان فى جمعياتهم أو بمنحهم تفضلا مسرفاً يمكن أن يؤدى إلى نوع من « التلقيح الذاتى » فى عملنا . فعملاؤنا السابقون يصبحون أخصائيين عندنا ، وهؤلاء بدورهم يتولون أمر عملائنا الجدد ، أو يضعون السياسة الخاصة بتوجيه العملاء الجدد . وهكذا قلما ينفتح الطريق لدم جديد ، أو أفكار جديدة ، تدخل إلى الجمعية . ويتضاءل شيئاً فشيئاً احتمال التقويم الموضوعى أو إعادة التقويم بالنسبة للجمعية فى ضوء التقدم المتحقق فى الحقل . إن الأخصائيين الجدد معنا لا تتوافر لهم الخبرة العريضة ولا الإشراف العريض اللازم لنمو المهارات الفردية ، وتعجز الجمعية بذلك عن الإفادة من الأخصائيين الذين لهم مثل هذه الخبرة الرحبة .

بذلك تتعقد المشكلة إلى حد بالغ ، وتزداد تعقيداً لأنها تتعلق بأكثر من نوع من الأخصائيين ، وبأكثر من نوع من العمل أو المستقبل المهنى ؛ ففى جمعيات العميان الراشدين يتم التشغيل ، ضمن غيرهم ، للإداريين والمشرفين والأخصائيين الاجتماعيين ، والمواسين ، والمعلمين المنزليين ، والمحللين القانونيين ، والموجهين ، ومديرى الأعمـــال ، وممثل وممثلى العلاقات العامة ، والباحثين ، والمستقبلين ، ورؤساء الورش ، والبانين ، والمختزلين ، ومستشارى العمل ، وعملاء التعيين .

ومن حيث إن كل واحدة من هذه الوظائف تتوافر أيضاً من الناحية العملية فى جمعيات أخرى غير جمعيات العميان ، فإن مهمتنا الأولى العظمى هاهنا هى إقناع تلك الجمعيات الأخرى بأن تفتح الفرص أمام العميان : ويبدو أن هذا الواجب يقع على عاتق جمعيات الخدمة الاجتماعية أكثر مما يقع على عاتق غيرها . فبفضل ما يتوافر فى هذه الجمعيات من تدريب فإنه ليس للمشتغلين فيها أن يستسلموا أمام العوائق الانفعالية التى تسد الطريق أمام الأخصائيين من العميان ، وهى العوائق التى تواجهنا فى القاعدة الجماهيرية : ومما لا شك فيه أن جمعيات الخدمة الاجتماعية العامة ليس لها من عذر يذكر فى تشجيعها للمشاعر التى تحول بينها وبين استخدام العميان ذوى الكفاية ( كالأكفاء من الأخصائيين الاجتماعيين العميان مثلا ) . ومع ذلك فإنه من الغريب حقا أن نجد أن بعض جمعيات الخدمة الاجتماعية المستنيرة فى الظاهر هى التى توحى للعميان الأخصائيين بأن يقصروا عملهم على حقل العمل مع العميان .

وبالنسبة للكثيرين من القراء يبدو الأمر وكأنه تماماً « نظرية حسنة » ، وذلك لأنهم يستنكرون الظاهرة الحالية ، ظاهرة التميز ضد العميان الأخصائيين . ( وبينما هذا الموقف يستحيل التحكم فيه من جانب أية ولاية أو حكومة تستند إلى سياسة عملية للتشغيل العادل ، إجبارياً كان أم

غير إجبارى ، فإنه فى كثير من الحالات تقوم جمعيات العميان بإنشاء « مجلس مناهضة التمييز » فى المنطقة ، ويختص بتلقى الشكايات الخاصة « بالتمييز » على أساس العمى ، ويتولى هذا المجلس الدفاع الملائم عن أصحابها أمام المسئولين فى الحالات التى تعرضت لمعاملة غير عادلة ) » وبالنسبة للكثيرين من العميان الأخصائيين فإن هذا « التمييز » يعد الدافع الأول لهم للبحث عن وظيفة فى جمعية للعميان . وواضح أنه لا يمكن التخلص من الطابع القهرى لهذا الدافع إلا إذا استطعنا أن نفتح للعميان فرصاً كافية فى مجالات أخرى ، بحيث تتوافر لهم حرية الاختيار .

وبالنسبة إلى عميان آخرين يكون دافعهم القوى لذلك ما يفترضونه من أن العمل فى جمعيات العميان يحقق لهم مشاعر الأمن ، ففى اعتقادهم أن جمعية العميان هى أقل استعداداً لأن تطردهم بالقياس إلى غيرها من الجمعيات . ومن العسير أن نعترض على فكرة السعى إلى أمن العمل ، وإن كان لايجوز لهذه الفكرة أن تصبح الدافع الأول للاختيار بين الوظائف ؛ ولكن فكرة أن جمعية للعميان يمكن أن تنزل بمستواه حتى لا تتخلى عن عامل ( لمجرد أنه أعمى ) ، هذه الفكرة من شأنها أن تدعو الجمعية إلى مراجعة النفس . ونحن لانعنى بذلك أننا ينبغى أن نكون قساة ، ولكن نحب أن تكون سياستنا فى التشغيل هى هى بالنسبة إلى العميان والمبصرين على السواء ، مع الاعتراف بالمساواة ما بين العميان والمبصرين فى الكرامة والمسئولية .

وهناك عميان آخرون أيضاً يكون دافعهم للبحث عن وظيفة فى جمعيات العميان شعورهم بأن هذه الجمعيات وحدها هى التى يمكن ألا تقبلهم حقا ؛ وهنا نجدنا نقترب جدا من حالة الاستسلام التى ينطوى عليها العزل . ولا يجوز لنا أن نقلل من شأن الصعوبات التى تؤدى إلى هذا الاستسلام — وهى صعوبات تنشأ إلى حد كبير من اتجاه المبصرين ؛ ولكن الحل لايمكن أن

يكون فى الاستسلام للموقف ، وإنما فى العمل مع البيئة التى تثير الصعوبات ومع الفرد الذى يمكن أن يكون مسئولا بدرجة ما .

وأحياناً أيضاً ما تكون هناك دوافع لا شعورية عميقة تدفع العاملين إلى البحث عن عمل فى الجمعيات التى يعانى عملاؤها نفس الإعاقة . وأحياناً ما تحول هذه الدوافع العميقة دون حسن أداء هؤلاء الأخصائيين لعملهم سواء لصالح الجمعية أو لصالح عملائها العميان .

ولعل أكثر الدوافع شيوعاً ، أو على الأقل أكثر التبريرات شيوعاً ، بالنسبة إلى تشغيل العميان فى جمعيات العميان هو ما يقال من أن تجربة العمى تجعل صاحبها أقدر على فهم مشكلات العميان الآخرين ، أو — كما يقال غالباً — أقدر على فهم مشكلات العمى . وهذا الاعتقاد ينطوى على مغالطة أساسية . فمهما يكن من الخبرة فى معاناة كارثة ما ، فليس فيها ما يعيننا على فهم الآخرين . إننا نكون ولا شك فى موقف أفضل بكثير فى تبين مدى الهول الذى حل بالآخرين الذين يعانون نفس الكارثة ، ولكن ذلك بذاته لا يضمن أننا سنحسن فهم « الآخرين » الذين يعانونها .

« الأعمى وحده هو الذى يستطيع فهم الأعمى » . تلك عبارة أخرى كثيراً ما تتردد على مسامعنا فى هذا المقام . وينبغى أن نضع إلى جوارها العبارة الأخـــرى : « ليس بوسع كل أعمى أن يفهم العميان » . صحيح أنه ليس بين المبصرين من يستطيع أن « يعرف حق المعرفة ماهية العمى » . إننا نستطيع أن نستشعر ماهية العمى خلال وقت قصير ، ولكن شعورنا هذا لا يكون مكتملا ، وسرعان ما نهرب منه بالضرورة لائذين بحياتنا المبصرة . إن المبصرين الذين ينسون هذه الحقيقة ، والذين يسلكون وكأن لديهم وعيا مكتملا بماهية العمى ، هؤلاء يمثلون تهديداً حقيقياً ولا يجوز أن يسمح لهم بالعمل مع العميان . إن ما يلزم لفهم العميان إنما هو

فهم « الأشخاص » – وليس فى العمى أو البصر ما يضمن تحقق هذا الفهم ( كما أنه ليس فيهما ما يحول دون تحققه ) .

وإذا كانت خبرة العمى لا تضمن لأى أعمى أن يفهم العميان ، فإن هذه الخبرة لا تصلح أن تكون بديلا عن التدريب الجيد . فكون الشخص أعمى لا يؤهله لأن يكون أخصائياً اجتماعياً ( بغير تدريب ) أو مرشداً نفسياً مدرباً ( بغير تدريب ) ، أو إدارياً مدرباً ( بغير تدريب ) بأكثر مما يؤهله لأن يكون أخصائياً فى طب العيون . ولكن من الصحيح أيضاً أن الكثيرين من العميان الذين أحسن تدريبهم يبحثون عن فرص للعمل مع العميان ، لأن اهتماماتهم الخاصة تتجه بهم إلى هذا المجال . فمن الممكن لهؤلاء العميان أن يبذلوا الكثير من أنفسهم فى هذا العمل بالقياس إلى الآخرين الذين لا يرون فيه أكثر من أنه عمل كغيره . فإخصائى الكوارث الذى عاش الكوارث قلما يكون مجرد موظف . وعليه فمن الممكن جداً أن تكون دوافع الأخصائى الأعمى من خبرة الدوافع ( سيان فى المستوى السطحى أو فى الأعماق ) . ومن الممكن أن تكون استعداداته فائقة ، وأن يكون تدريبه وخبرته من أعلى مستوى .

ومع ذلك فمن المحتمل أن يجد من جمعياتنا صعوبة فى تشغيله . وفى ذلك ما يتأدى بنا إلى وجه آخر من هذه المشكلة المعقدة ؛ ونعنى الأسباب التى تجعل بعضنا ممن يرأسون جمعيات العميان يستبعدون تماماً موضوع تشغيل الأخصائيين العميان ضمن إخصائيهم .

فبعض المبصرين ممن يديرون جمعيات العميان هم ولا شك لا يؤمنون فى واقع الأمر بكل ما يعلمونه خاصة باقتدار العميان أو « سويتهم » . وليس يعنينا كيف يقومون « بتعقيل » هذا الموقف بالنسبة إلى أنفسهم ، فإنهم يقتطعون حالة أعمى فاشل ، ويأخذون فى تضخيم فشله ثم يعممون حكمهم على جميع الأخصائيين العميان . أو هم بنفس الطريقة يقومون

بالتعميم ابتداء من المشكلات الشخصية عند فرد واحد كان من العسير التعاون معه فى إحدى الجمعيات .

ويحتمل أيضاً أن تكون مقاومة بعض رؤساء الجمعيات لفكرة تشغيل الأخصائيين العميان راجعة إلى سبب مستتر هو أن هؤلاء الأخصائيين يمثلون تهديداً لمراكزهم فى المستقبل . أو ربما كان السبب ، وهو الأكثر احتمالا ، أن يجدوا فى هؤلاء العميان ما يهدد شعورهم بالأمن ، وذلك لما يوحى به وجودهم عند الرؤساء من مشاعر القصور وعدم الكفاية . وقد يبدو ذلك إمعاناً فى مجال التعليل ، ولكن هذا مع ذلك لا يعدو أن يكون استجابة بشرية . ذلك ما يمكن أن يشعر به لاعب الجولف المبصر وهو يشهد لاعب الجولف الممتاز الأعمى ، وما يشعر به لاعب التنس الصحيح البدن أمام خصمه الممتاز المبتور الذراع الآخر . فنجاح البعض على الرغم من إعاقتهم يعد أمراً يفوق الاحتمال بالنسبة لبعض الأشخاص الذين لا تتوافر لديهم مشاعر الأمن ، وليست لديهم إعاقات .

وفى كل حالات أخرى يرجع هذا الشعور العدوانى ضد الأخصائيين العميان إلى شعور داخلى بالإثم . فعلى الرغم مما فى ذلك من غرابة ، يمكن للإنسان أن يعانى الشعور بالإثم لأنه لا يعانى الإعاقة التى يعانيها الآخر . فمن الممكن أن نستشعر عدم جدارتنا أمام الله ، وندهش أنه أنزل العناء بغيرنا وأعفانا منها . أو — وهو أمر مختلف تماماً — أن نستشعر مشاعر عدم الجدارة ونستشعر أن ذلك يستوجب عقابنا ، ومثل هذه المشاعر قد تحول دون تشغيلنا للعميان .

أضف إلى ذلك أن بعضا منا كرؤساء جمعيات قد لا يكونون على استعداد لتحمل أية متاعب يمكن أن تنتج من تشغيل العميان . ومن الممكن ألا يكون لدينا من المرونة ما يمكننا من إدخال تعديلات فى تنظيم العمل قد يتطلبها الأمر .

والعميان المديرون للجمعيات يمكن أيضاً أن تكون لديهم من المشاعر ما يجعلهم يقاومون تشغيل الإخصائيين العميان بين هيئات موظفيهم ؛ فالعميان الآخرون قد يمثلون تهديداً لهم ولأمنهم . وإذا لم يكن هؤلاء المديرون قد تكيفوا لعماهم ، فمن الممكن عندئذ أن يستشعروا رغبة قوية فى لفظ العميان الآخرين ، وهى رغبة تعكس رفضهم لإعاقتهم ولذواتهم المعوقة .

وعليه فمن الواضح أنه لا توجد إجابة واحدة بعينها فى كل الحالات فيما يتصل باستخدام العميان أو المبصرين كعاملين فى جمعيات العميان ؛ ولا تتوقف الإجابة فحسب على الأشخاص المعنيين ، وإنما أيضاً على مدى تقديم عملية تكامل العميان ضمن المجتمع العام : فحين لا تكون هناك للعميان المقتدرين فرص عمل فى أماكن أخرى فينبغى أن نتنبه بصورة خاصة إلى توفير هذه الفرص لهم فى جمعياتنا — وذلك « متى » كانوا قادرين على الاضطلاع بالوظائف فى نفس مستوى غيرهم : ولكننا ينبغى أن نصر دائماً على أن التفوق لاالعمى هو المعيار . إن مصلحة الكثير من عملائنا العميان لايجوز التضحية بها من أجل تحقيق إرضاء مباشر لواحد من العميان يبحث عن عمل .

وفى نفس الوقت ينبغى ألا نغفل أبداً عن الهدف من تعيين العميان الأخصائيين فى الجمعيات العامة . ( وفى الأعمال العامة والصناعة ) بدلا من قصر تعيينهم على الجمعيات المتخصصة للعميان : وينبغى أن نتأكد من أن كل أخصائى فنى من العميان والمبصرين قد وجد التشجيع ليحصل على أفضل تدريب وخبرة ممكنة فى هذه الجمعيات العامة قبل أن نأخذهم ضمن هيئات العاملين عندنا ( وذلك لصالحهم ولصالح الجمعية المتخصصة ) . وينبغى أن نتذكر دائما ( اللهم إلا فى الوظائف القليلة التى يكون فيها العمى — متى تساوت جميع الظروف — معينا إيجابياً ) أن العمى لا ينبغى

أن يكون محل اعتبار إيجابيا أو سلبيا فى تعيينا للأخصائيين فى هيئة العاملين عندنا .

**٢ – المتطوعون**

يستطيع المتطوعون أن يكونوا خير معين للجمعية التى تمكنها ظروفها من أن تستفيد من خدماتهم . وفضلهم مزدوج ، فهم يقدمون خدماتهم للجمعية وللفرد الأعمى .

والمتطوعون الذين يقدمون خدماتهم لا للفرد الأعمى وإنما للجمعية أحياناً ما يصعب الحصول عليهم – من أجل زيادة الاعتمادات المالية ، وإرسال الخطابات وتوزيع الرسائل ، وتنظيف المكاتب الخ . ذلك أنه لما كان عملهم لايتصل مباشرة بالعملاء من العميان فإنه يكون قليل الجاذبية . ومع ذلك فهذا العمل هو الذى يجعل وجود كثير من الجمعيات ممكنا ، ومن ثم فهو الذى يمكن الجمعية من كل عمل تقوم به لعملائها العميان .

أما المتطوعون الذين يعملون مع العميان مباشرة فلهم وظيفة واحدة ، ويجب أن تكتب بحروف كبيرة فى مكان ظاهر فى كل جمعية « وظيفة المتطوع هى أنه يقدم عينين للأعمى » .

وخلال قرون كان المتطوعون يؤدون هذه الوظيفة للعميان كأفراد ، سواء وهم يعملون تحت إشراف جمعيات العميان أو بعلاقاتهم التلقائية . ولكن هؤلاء المتطوعين وكذلك العاملون بالجمعيات والعميان كأفراد يعلمون أنه يوجد أيضاً متطوعون ممن يدخلون فى منظمات مختلفة يتخطون حدود مهمة المتطوع بأن يأخذوا على عاتقهم مسئوليات أخرى . ناسين أن مهمة المتطوع الوحيدة هى أن « يقدم عينين » .

ليست وظيفة المتطوع كعميل لمنظمة للعميان أن يقدم مساعدات مالية للفرد ( ولو أنه من الجائز تماماً أن يطلب إليه أن يفصح للجمعية عن

احتياجات الأعمى الظاهرة للمال ) . وليست وظيفته أن يعلق الهدايا على الأعمال للأعمى . كما أنها ليست أن يمده بالذكاء ولا هى أن يتخذ له القرارات . وليست هى أن يعلمه ولا أن يغير من معتقده[1] . إنها ليست أن يجعل منه تابعا ، ولا هى أن يملكه ويهيمن عليه . لا ولا هى أن يستخدم الأعمى وسيلة لحل مشكلاته النفسية .

إن بعض تلك الأغراض حسن فى ذاته . وبعضها الآخر قد يكون حسنا بالنسبة إلى فاعله . ولكن بعضها أيضاً ردىء للمتطوع ، كما هو ردىء للعميل . ولا شىء منها على أية حال هو من وظيفة المتطوع كمتطوع لجمعية للعميان ، اللهم إلا فى ظرف خاص حين يتلقى المتطوع توجيها بأن يأخذ على عاتقه أى غرض من هذه الأغراض فى حالات الضرورة الاستثنائية .

فوظيفة المتطوع الذى يعمل مع حالات تجمع ما بين الشيخوخة والعمى قد تكون مختلفة . ووظيفة المتطوع الذى يعمل مع حالات تجمع ما بين التبعية التى لا شفاء منها وبين العمى قد تكون مختلفة أيضاً . وقد تكون هناك حالات استثنائية مستغربة ( وهناك بالطبع الاستثناءات « المألوفة » منها أولئك الذين يتطوعون بمهارتهم الفنية — أخصائى طب العيون مثلا ، أو الطبيب العقلى ) . ولكن وظيفة المتطوع الذى يعمل فى حقل العمى ينبغى أن تكون محددة تماما فى ذهنه وفى ذهن الجمعية التى تستفيد من خدماته .

وتعمل مناشط المتطوعين على تعويض ثلاثة فقدانات ( وبصورة أساسية

---

(١) قد يجد بعض القراء صعوبة فى فهم هذه العبارة الخاصة بالتعليم وتغيير المعتقد . إننى أقولها وأنا أعرف تماما أن كل إنسان إنما خلق ليجاهد فى سبيل الحق وفى سبيل « الله الحق » ، كما أعرف تماماً حاجة الجنس البشرى والناس كأفراد إلى أن يعملوا الحق وما أمر به « الحق » ، وأعرف أيضاً التزام كل منا كأفراد بأن نساعد الأفراد الآخرين ، والجنس البشرى عامة كيما يسعوا إلى الحق « وإلى الله الحق » ويجدوهما . ولكننا نتكلم هنا عن وظيفة المتطوع الذى يعمل مع العميان كما اصطلح عليها ، وهى وظيفة نعتقد تماماً أنها فحسب « تقديم العينين » .

فقدانين فقط ) تلك هى فقدان الاتصال عن طريق المكتوب والفقدان الخاص بالتحرك ( وإلى حد ما الفقدان الخاص بفنيات الحياة اليومية ) .

وفى مجال تعويض الفقدان الخاص بسهولة الاتصال عن طريق المكتوب يمكن أن يكون عمل المتطوع مباشرا مع الأعمى بأن يقرأ عليه ، أو بأن ينسخ له مادة « البراى » أو بأن يقرأ له على كتب ناطقة كيما يستخدمها فيما بعد . وفى الحالتين الأخيرتين لا يتصل المتطوع بالأعمى بشكل مباشر وإنما يعمل بدلا من ذلك عن طريق جمعية للعميان تكون أغراضها نقل هذه المواد إلى العميان .

وربما كان أهم ما يحتاج إليه حق التطوع مع العميان هو إقامة جمعية تجريبية تعتمد على هيئة كبيرة من المتطوعين الذين أحسن اختيارهم وتدريبهم بحيث يمكنهم أن يذهبوا فرادى إلى بيوت عدد كبير من العميان لفترة مرسومة ومحدودة من كل أسبوع ليقرأوا على العميان — لا شيئاً ذا أهمية خاصة ، وإنما أية قراءة ترويحية أو غير ترويحية يطلبها الأعمى . هؤلاء « العيون البديلة » يمكن تبديلهم بانتظام فيتحركون إلى عميان جدد . إن عملهم يمكن أن يختلف عن عمل معظم المتطوعين ، فهو غالباً ما يصبح عملا ميكانيكيا .

وابتعاث فقدان التحرك يتطلب خدمات المصاحبين والسائقين . ولكن اشتد السعى إلى توفير مثل هؤلاء المتطوعين بأعداد كافية لمواجهة الاحتياجات الواقعية فإن الجمعيات يجب أن تحترس فلا تقدمهم للعميان إلى الحد الذى يزيد من إنتاجهم للتبعية مما يسىء إليهم أكثر مما يعينهم .

هذا إلى أننا فى بعض الأحيان ، وإن كان ذلك بصورة طارئة فحسب ، تمر بنا ظروف نستدعى فيها المتطوعين للمعاونة فى بعض فنيات الحياة اليومية .

وعلاوة على الخدمات الخاصة بتقديم « العيون » فإن بعض جمعيات العميان تقدم متطوعين لمختلف الخدمات التى قلما تتصل — إن اتصلت على الإطلاق — بعمى عملائها ، ومثال ذلك تقديم مجالس الأطفال . ومع إدراكى أن المواقف الطارئة يمكن أن تغير من طبيعة الأشياء ، فإنى أعتقد أن مثل هذه الخدمات يمكن أن تقدمها بصورة أفضل الجمعيات العامة للمتطوعين ، تاركة لجمعيات العميان العمل الخاص بالابتعاث والإعانة البصرية ، وهو عملها :

ومعظمنا يفشل فى تقديم العدد الكافى من المتطوعين ، ولكن هناك أيضا خطر تقديم عدد زائد من المتطوعين ، أو على الأقل خطر تقديم خدمات زائدة على الحد فى حالة بعينها : إن العثور على الحد الفاصل ليس سهلا ، وحتى فى حالة الجمعية التى لديها أفضل البرامج التطوعية نظاماً ، فإنه لابد أن يتوافر اتزان كبير فى الشخص الذى يدير البرنامج كيما يقدم الخدمات دون أن يجعل العملاء أكثر تبعية مما هم عليه ، أو مما كانوا يرغبون فى أن يكونوا عليه .

وأهم شىء على الإطلاق فى الخـدمة التطوعية الجيدة هو نوعية المتطوعين — بحيث لا يكونون أناساً صالحين فى خلقهم فحسب ، ولكن بحيث يكونون أيضاً صالحين لهذا العمل . إن لدى معظم الجمعيات نظاماً لاختبار وتدريب المتطوعين الذين سيعملون مباشرة مع عميان . ولكن بعضها يفشل فى ذلك ، ومن خير الأمثلة المعروفة على هذا الفشل حالة عضو فى إدارة جمعية كان يناقش حالة متطوعة كانت هناك توصية بشأنها أن تتولى فتح البريد الخاص بالدخل فى قسم مالى . وبعد المناقشة كان جوابه : إن الجمعية ليست لديها معلومات كافية عنها حتى تضعها فى مكان يتيح لها أن تتسلم نقوداً ، وأنه بدلا من ذلك ، ربما أمكن الإفادة منها كقارئة للعميان .

إن اختيار المتطوعين الذين سيعملون مباشرة مع العميان ، إنما يمثل جزءاً أساسياً من برنامج التطوع . والاختيار يعنى ( بالإضافة إلى استبعاد أى أشخاص غير مرغوب فيهم من الناحية الخلقية ممن يمكن أن يكون تطوعهم نتيجة مصادفة ) استبعاد كل الذين يمكن بطبيعتهم أن يسعوا إلى التسلط على الأعمى ، وكل الذين يمكن أن « يتطابقوا » مع الأعمى ، والكثيرين من المرهفين الذين لا يسمح لهم تكوينهم الانفعالى أن يعملوا فى موقع تطوعى مباشر دون أن ينغمسوا على نحو ما فى المشكلات الداخلية فعلا للأعمى . ولا يعنى الاختبار رفض هؤلاء الأشخاص ، وإنما تحويل جهودهم فى مسالك أخرى يمكنهم فيها أداء خدمات تطوعية للجمعية ، ومن ثم خدمات غير مباشرة للعميان .

وينبغى أن نتنبه فى هذا المجال كما فى غيره إلى أن الناس يتجهون إلى « أعمال الخير » من هذا النوع أو ذاك استناداً إلى دوافع جد عديدة وجد متنوعة ، وقد يكون بعضها لا شعورياً تماماً . ولصالح عملائنا ينبغى لنا أن نحاول منع أى ضرر قد ينالهم بفعل نشاط هذه الدوافع اللاشعورية ، كما أنه ينبغى لنا ألا نمنع أية إرادة للخير من أن تأخذ ما تستحقه من فرصة ومجال .

والقيام بعملية الاختيار هذه يتطلب شخصاً غير عادى ، شخصاً يتميز بالاستبصار ، والتدريب ، والكياسة ، وقوة التمسك بالغرض . وكيما نستوعب المتزنين وذوى الدوافع الطيبة واللائقين انفعالياً للمهمة فقد يكون علينا أن نستبعد بعضاً من خيرة أصدقائنا ، بل وبعضاً من أفضل أصدقاء جمعياتنا . وسواء أكان الاختيار صعباً أم غير صعب ، فإنه يستحق العناء رغم ذلك بسبب دلالته بالنسبة إلى الاستقلال المتزايد لعملاء الجمعية العميان .

وبالإضافة إلى الاختيار فإن لتدريب المتطوعين أهمية قصوى . وعادة

ما يتضمن التدريب مقرراً فى المعلومات العامة عن هدف العمل مع العميان وعن الفلسفة الخاصة بالعمل التطوعى وعن تعريف الجمعية بالجمعية نفسها ، وطوال فترة عمل المتطوع مع الجمعية تعطى له مقررات تجديدية حتى يظل متتبعاً للتقدم ، أو للتغير فى حقل العمل مع العميان .

وفى بعض الحالات قد تفيد الجمعيات إلى أقصى حد إذا هى أخذت على متطوعيها نوعاً من « العهد » بالنشاط المحدد أو على الأقل وضعت « قانون إيمان » للمتطوعين حتى تكون على ثقة منذ البداية أن المتطوع يفهم حقاً حدود عمله المرسومة له وينتوى ألا يتخطاها — سواء فى ذلك حدود الوقت أو نمط العمل . والكثيرون من العميان خبروا المتطوع الذى يمنح فى البداية وقتاً للأعمى يفوق كثيراً ما يطلب إليه أن يمنحه ، ثم يتناقص جهده تدريجياً أو فجأة إلى أن ينقطع فلا يراه أحد .

ويهدف برنامج المتطوع أيضاً إلى تحقيق الإشراف الجيد ، فالمتطوعون ينبغى أن يتعلموا أن يقدموا تقريرات عن عملهم إلى الجمعية . وليس من المهم أن يبدو لهم ذلك غير ضرورى ، أو إلى أى حد يبدو لهم كأنه مزيد من تعقيدات الروتين ، فإنه من الأهمية بمكان ليس فحسب أن تؤدى الجمعية وظيفتها عن طريق متطوعيها ، وإنما أيضاً أن تتبين أنها تقوم بأدائها . وبالإضافة إلى تقريرات المتطوعين عن نشاطهم . فإنه ينبغى أن يطلب إليهم أن يكتبوا تقريرات عن أى موقف غير عادى قد يؤثر فى العميان الذين يعملون معهم ، حتى تستطيع الجمعية أن تقرر مدى حاجتهم إلى خدمات إضافية .

والإشراف على المتطوعين يتضمن أيضاً سحب المتطوعين من العمل مع حالة خاصة ، أو سحبهم من العمل التطوعى عامة ، متى كان ذلك لسبب ما هو الأصلح ؛ مثال ذلك متى أخلفوا المواعيد بغير سبب ، أو متى ثبت

عدم اقتدائهم أو متى أظهروا حماسة مسرفة لا تتفق مع صالح الأعمى الذى عينوا لمعاونته .

## عهـد المتطوع[1]

أتعهد أنا بأن أكون عينى الأعمى .

سأحاول بكل قواى أن أتحرر من المشاعر الزائفة عن العمى — المشاعر التى تعتبر العميان غرباء أو مختلفين — المشاعر التى تعتبر أن لديهم حاسة سادسة ، أو تعويضا خارقا — المشاعر التى تعتبر أنهم عباقرة أو أنهم من ناحية أخرى ذوو شخصيات ملتوية أو معقدة .

سأحاول أن أتحقق تماما مما بدأت فى معرفته ، من أنه لا وجود لنمط شخصية سائد بين العميان . وسأحاول دائما أن أنظر إلى كل فرد أعمى أتصل به على أنه فرد إنسانى له شخصية إنسانية فردية .

أعهد بأننى فى حديثى عن عملى لن أحاول أن أذيع إشفاقا زائفا تجاه العميان ، ولكن بأن أعلم الناس حقيقة العمى فحسب ، وهى أنه إعاقة بالغة القسوة يستجيب لها البشر كل بطريقته الفردية .

وستكون علاقتى الفعلية بالأعمى الذى عينت معه هى العلاقة التى حددت لى . إننى أتقبل هذه الفرص التطوعية حتى أساعد الأشخاص العميان وبعبارة عامة فإن أفضل مساعدة حقـــة هى التى أكون فيها مجرد « أعين

---

(١) فى هذا ما يجاوز بما لا يقاس تفوق الأنظمة الاشتراكية . ففهوم التطوع ينطوى ليس فحسب على معانى المهانة ، وإنما يقيم من الناحية العلمية مشكلة الدوافع العميقة التى تدفع بالمتطوع إلى معاناة هذا كله ، ناهيك بما يتضمنه ذلك من إضاعة استقلالية الأعمى عبر هذه البرامج التى تتوهم حمايته . ( المترجم ) .

بديلة » . ومعنى هذا أننى سأمتنع عن كل محاولة للتأثير فى حياة أو أفعال الشخص الأعمى — تاركا هذا لغيرى ممن يناط بهم ذلك . إننى لن أحاول أن أكون أما أو أباً أو أختاً أو أخاً للشخص الأعمى . ولن أسمح لنفسى بأن أحسن عليه بالمال . ولن أملكه أو أهيمن عليه . ولن أجعله فى تبعية بالنسبة لى ، ولن أكون فى تبعية بالنسبة إليه . أتعهد أنا بأن أكون عينى الأعمى — وبألاّ أحاول أن أكون أكثر من ذلك . فإذا فعلت ذلك ، وفعلت ذلك لوجه الله ، فإن وقتى يكون حقا قد بذل حيث ينبغى — بغض النظر عن وجود أية مشكلات أخرى يمكن أن أكون أنا راغباً فى حلها .

**٣ — عصب العينين كأداة للتدريب**

توجد كثرة من نقط الخلاف فى حقل العمل مع العميان — على نحو ما لاحظ القارئ ولا شك ؛ وليست أقل هذه النقاط تلك الخاصة باستخدام عصابة العينين . فهى فى نظر البعض تعد أداة بسيطة يمكن أن تعين على تعريف المبصرين بالعمى . أما فى نظر آخرين فيعد استخدام عصابة العينين بهذا الغرض نوعا من اللعب التمثيلى جـــديراً بالازدراء من جانب الأخصائيين الجادين .

وتكشف التجربة عن أن عصابة العينين يمكن أن تكون إضافة ذات قيمة كبيرة فى أى برنامج تدريبى لتحقيق الأغراض الأربعة التى سنوضحها . ولكن خطأ من أعظم الأخطاء جسامة غالبا ما يرتكب حين تستخدم هذه العصابة دون اتخاذ التحفظات اللازمة .

وسوف نذكر التحفظات الخاصة التى يتطلبها كل استخدام ، ولكن التحفظ الضرورى دائما هو أنه لا يجوز استخدامها أبدا بفكرة أنها ستعلم أى شخص « معنى الأعمى » . فما من استخدام لعصابة العينين مهما طال به الوقت يمكن أن يعلم المبصر « ما هو العمى » . فقيمتها تنحصر ببساطة فى

قدرتها على أن تضع فى متناول المبصر بأقصى سرعة « بعض المشكلات الواقعية » للعمى . فالشخص المعصوب العينين يستطيع أن يتعلم بعض الصعوبات المتصلة بفقدانات من قبيل فقدان التحرك ، وفقدان سهولة الاتصال عن طريق المنطوق ، وفقدان فنيات الحياة اليومية ، بما لا يستطيعه بطريقة أخرى . ولكن هذا الشخص لا يستطيع أبدا أن يمسك بخبرة العمى عن طريق خبرة العصابة . وهى بهذا المعنى لعب تمثيلى .

( ١ ) استخدام عصابة العينين للمشتغلين الجدد . من المسلم به أن المشتغل الجديد مع العميان ، سواء أكان متخصصا أم متطوعاً ، سيقضى فترة تدريبية من الغرس العقيدى المنصب على المشكلات الخاصة بالعمى وعلى الفنيات الخاصة اللازمة فى الحقل . ويمكن تقصير هذه الفترة إلى حد كبير ، والزيادة من فاعليتها إذا استخدم المشتغلون عصابة العينين فى الجزء الأكبر من الدراسة[1] .

ولا حاجة هنا إلى أى تحفظ خاص سوى الإلحاح على هذه الحقيقة ؛ وهى أن استخدام عصابة العينين لن يعلم المبصر معنى العمى ، ولو أن العاملين المؤهلين بدرجة كافية فى حقل العمى لا ينبغى أن يكونوا بحاجة إلى مزيد من الإلحاح على هذه الحقيقة . والواقع أن المشتغل الذى يتحدث بعد هذه الدراسة قائلا إنها منحته خبرة العمى إنما يدل بذلك على أنه لا ينتمى إلى الحقل .

( ٢ ) استخدام عصابة العينين فى توعية جماعات من الجمهور . إن استخدام عصابة العينين مع أى جماعة كبيرة من الجمهور كمعين على تعليمهم بعض الحقائق عن العمى يمكن أن يكون مفيداً . ولكن ينبغى أن نتذكر أن

---

(١) كل أعضاء هيئة التدريس فى « مركز سانت بول للتأهيل » يلبسون عصابة العينين يوماً واحداً فى الشهر على الأقل ، كتذكرة متكررة لهم بمشكلات ربما يتعرضون لنسيانها .

المتحدث الذى يوضح بحق فى مثل هذه الظروف بعض الدلالات العميقة والمرعبة عن العمى إنما يخطو فى أرض خطرة ، فمن الممكن أن يظهر الهلع وينتشر فى جمهور من المستمعين المعصوبى العينين . ومع ذلك فإنه ما لم يعط المتحدث هذا الإيضاح العميق فمن المحتمل أن ينصرف الكثيرون من الناس السطحيين ولديهم انطباع بأنهم قد عرفوا معنى العمى . وممكن استخدام عصابة العينين بصورة مفيدة مع جماعات من الجمهور ممن ينبغى تعليمهم الشىء الكثير عن العمى فى وقت قليل : ولكن استخدامها عندئذ ينبغى أن يكون لفترات قصيرة ، كما أنه لا يجوز السماح للتوتر الانفعالى بأن يشتد بدرجة مسرفة .

**٣ – استخدام عصابة العينين لمساعدة أسر المصابين حديثا بالعمى .**

إن استخدام أعضاء أسرة الشخص الأعمى لعصابة العينين ، وإن كان يمكن أن يكون جد معين فى تعريفهم ببعض المشكلات « الواقعية » للعمى ، إلا أنه مع ذلك ينبغى أن يحاط بتحفظ أشد . وأهم ما فى الأمر أننا ينبغى أن نتذكر أن خبرة العصابة يمكن أن تكون بالنسبة لبعض الأشخاص الملتصقين بالشخص الحديث العمى صادمة إلى حد يفوق احتمالهم . فبالنسبة إلى أسرة الأعمى ، من الأهمية القصوى بمكان أن يعرفوا تماماً هذه الحقيقة ، وهى أن وضع العصابة لفترة قصيرة لن يعلمهم ما هو العمى . وينبغى أن نوضح للأعمى نفسه جيداً أن أعضاء أسرته لا يعانون من مثل هذا الوهم ، فقلّ أن يوجد شىء يشيع الاضطراب فى العلاقات الأسرية مثلما يثيره عضو مبصر يبدو أنه يعتقد ، أو حين يعتقد بالفعل ، أنه يعرف تماماً دلالة الإعاقة عند الأعمى .

**٤ – استخدام العصابة لتخفيف وقع الزائرين المبصرين على برنامج للعميان**

إن الاستجابة الانفعالية الشديدة للعمى من جانب نسبة عالية من

الجمهور ، وإن عدد من يتصل منهم بأشخاص عميان بصفة منتظمة ، من شأنهما أن يجعلا من مشكلة الزائرين لجمعية أو معهد للعميان مشكلة كبرى .

فمن ناحية ترغب الجمعية في التعريف بعملها الخاص وفى توعية الجمهور بالمشكلات العامة للعمى وببعض الطرائق المتاحة للتغلب على هذه المشكلات ، ومن ناحية ما فإن كل ما يجعل من مكان إقامة العميان أو من مكان عملهم ما يشبه « البيت المفتوح » من شأنه أن يقيم اتجاهاً إلى وضع العميان فى موقف عرض كما لو كان المكان متحفاً أو حديقة للحيوان ، مما يسيء أبلغ الإساءة إلى العميان الواقعين تحت الملاحظة ، ومما لا يعين بدرجة تذكر على التمهيد للتوعية القيمة للجمهور .

وبصورة عامة فإنه ينبغى أن تمنع تماما كل زيارات المشاهدة للجماعات غير المتخصصة . ولكن إذا أتت مناسبات يتحتم فيها استقبال جماعات من الجمهور فى مؤسسة يزاول فيها العميان نشاطا ، فإن قدراً كبيراً من صدمة الموقف عند العميان يمكن تفاديه ، كما يمكن أن تكون الزيارة أكثر فائدة ، إذا استخدمت مع الضيوف عصابة العينين .

إن مركز سانت بول يقصر زيارته على ذوى الاهتمام الفنى بالبرنامج ؛ وذلك إلى حد أنه لا يسمح لغير الزوار الفنيين أن يدخلوا إلى الفصول فى أوقات العمل . وحتى فى حالة الزوار الفنيين فإنه يحتم عليهم أن يضعوا العصابات على عيونهم .

والأسباب التى تستند إليها هذه السياسة هى أن الزائر الفنى المعصوب العينين لديه فرصة أكبر لأن يتبين بالفعل ماهية ما يعطى للأعمى من تعليم ، كما أنه تتحقق له ألفة — ربما على الرغم منه — ببعض المشكلات الخارجية المتصلة بالعمى ؛ من قبيل مشكلات التحرك ، ومشكلات الاتصال ، ومشكلات فنيات الحياة اليومية . وكذلك فإنه لا يتشبث انتباهه بأمور

صغرى نسبياً من قبيل مظهر الأعمى فى موقف الفصل ( وهذا مهم بصفة خاصة بالنسبة للفنى الذى لم يتعود العمل مع العميان ، والذى يمكن أن يخصص كل انتباهه ليرقب ويبصر « حركات العميان » ) ، وهو كذلك يقتدر على أن يرى الفصول وما يوجد بالمركز من وجهة نظر الأعمى الذى يتدرب ، وهو أيضاً يسمع تلاميذ التدريب وهم يعملون بحرية أكبر مما لو لم يعرفوا أن الزائر معصوب العينين ( وبذلك يلاحظ مركز التدريب فى ظروف أبعد عن التكلف والاصطناع ) .

وهذه السياسة تعنى أيضاً أن العميان تحت التدريب لا يرتبكون أو يتشتت انتباههم أثناء عملهم فى حضور الزوار الذين يتسمعون استجاباتهم — وهذه نقطة هامة لتحقيق جو من الانطلاق التام فى الفصل : إن الأعمى تحت التدريب يعرف بذلك أنه ليس محل شفقة من جانب المبصرين الذين يأتون إلى الفصل للملاحظة . وهو يتحقق من أنه فى هذا الموقف الخاص ، ولو أن الزائر المعصوب العينين ليس أعمى ، فإن الأعمى تحت التدريب يتمتع بميزة عدم الاضطراب ، فى حين أن الزائر المعصوب العينين ربما كان متضايقاً بعض الشىء أو على الأقل جد مشغول التفكير فى جدة الموقف إلى حد لا يمكنه من أن ينظر إلى الأعمى تحت التدريب من برج عال .

وإذا كان هذا يبدو نوعاً من الحماية المسرفة لعميان علينا أن يعودوا إلى عالم المبصرين ، فإننا ينبغى أن نلاحظ أن العميان تحت التدريب يتدربون تدريباً كاملا على العمل فى أمن فى حضور المبصرين ، وذلك حينما يتحركون حول المركز أو فى الأفنية ، وبين الفصول ، وعندما يتلقون التعليم الخاص بالتحرك فى المجتمع المحلى العام . وحينما يقضون إجازتهم بين المبصرين فى ظروف إبصارية عادية . ومع ذلك فإنه فى الموقف الحميم فى جماعة الفصل الصغيرة ، لا ينبغى أن نتوقع منهم أن يتصرفوا وهم فى موقف العرض ،

أو أن يتعرضوا للملاحظة بفكرة أن الآخرين يتفرجون عليهم وكأنهم أعمال للزينة ،

إن استخدام عصابة العينين كأداة تدريب يمكن أن يتعرض للمقاومة سنوات طويلة من جانب قدامى المشتغلين فى حقل العمى . ولكنه سيلقى مقاومة خاصة من جانب أولئك الذين يجدون استخدام هذه العصابة صادماً لهم إلى حد لا يستطيعون تقبله ، إذ أنهم غير مستعدين لمواجهة مخاوفهم الخاصة ،

# ملحـــق

# الرعاية الدينية للعميان

نتناول موضوع الرعاية الدينية للعميان فى ختام هذا الكتاب ، لأننا لا يمكن أن نكون فى وضع يسمح لنا بأن نرى هذا الموضوع فى تمام سياقه إلا إذا فرغنا من تناول العمى ودلالته .

يرى بعض الناس أن الشىء الوحيد الذى يمكن عمله مع العميان من زاوية الدين إنما هو تقديسهم ، أو اعتبارهم قديسين . وهذا صحيح إذا قصدنا من ورائه أن الشىء الوحيد الذى يجب أن يفعله الدين بالشخص ، وبالتالى بالأعمى ، إنما هو أن يجعله قديسا . ولكنه يكون غير صحيح إذا قصدنا من ورائه أن الأعمى مدعو بصفة خاصة إلى القداسة دون غيره من بنى البشر .

ووجهة النظر الأخيرة هذه ليست من الدين ، وإنما هى خرافة . إنها ليست خرافة صريحة أو مقصودة . ولكنها خرافة على كل حال ، خرافة لا تبتعد كثيراً عن خرافة القبائل البدائية التى غالباً ما تؤله العميان ، معتقدة أنهم ، على نحو ما ، قبس خاص من الله[1] . وكما هو الشأن فى الخرافات بصفة عامة ، ترجع هذه الخرافة إلى مخاوف غامضة وانفعالات دفينة . يبدو الأعمى وكأن عنده قدرات تأملية لا يملكها الباقون منا . وربما لا تبتعد هذه الخرافة كثيراً فى أصلها عن المعتقدات الجاهلة المتعلقة « بالعين الشريرة » .

ومع هذا المفهوم يسرى شعوراً بصدمة حين يقترف العميان إثما

---

(١) يرجع ذلك فى رأينا إلى انتماء الأضداد إلى مقولة مما يتضح فى لمستوى اللغوى فى كلمتى « عجز » و « إعجاز » انظر كتابنا « الأنماط الانفعالية للمكفوفين » ، وباقى السلسلة ( مكتبة الأنجلو بالقاهرة ) . ( المترجم ) .

وهو شعور يفوق كثيراً فى شدته شعور الصدمة عندما يقترف المبصرون الإثم . والصدمة إزاء الإثم ليست بالشيء الكريه ولا شك إذا ما حدث إزاء « كل » إثم وليس إزاء بعض أشكال الإثم فحسب ، إذا ما كانت صدمة إزاء الآثام التى يقترفها كل الناس ، وليست فحسب إزاء الآثام التى تقترفها بعض الجماعات . ( تنشأ هنا صعوبات فى التعريف ؛ فبعض أنواع « الصدمة » إزاء الإثم ليست نتيجة اتجاه متزن يبغض أى تعد على الله بقدر ما هى نتيجة اختلال عصابى وروحانية مضطربة ) . أما الشعور بالصدمة إزاء آثام العميان والرضا بآثام غيرهم من البشر فليس إلا ضربا من الخرافة .

والذين يتوقعون من العميان أن يكونوا أكثر طهراً من بقية البشر ، أحياناً ما يفصحون عما يستشعرونه حين يقترف أعمى إثما بخرقه للقانون الإلهى : « ها هم أولاء قد حرموا حاسة وهبها الله للباقين منا . ألا ترى أنهم كان ينبغى أن يكونوا قريبين من الله قرباً يجعلهم يخجلون من هذا ؟ » وليس هناك من منطق خاص يوضح ما يحاولون أن يقولوه ؛ إنه يبدو أكثر منطقية أنه إن كان هناك فارق ما بين الجماعتين فإن العبء الأكبر ينبغى أن يكون علينا نحن المبصرين ، علينا نحن الذين وهبنا الله أكثر فى مجال الحواس . وإنه ليبدو أنه إن كانت هناك صدمة أكبر إزاء آثام جماعة عما هى إزاء الجماعة الأخرى ، فينبغى أن تكون بالنسبة لنا نحن الذين أعطانا الله الكثير . ولكن ليس للخرافة من منطق خاص .

ومتى آمنا بأن النمو فى القداسة يقاس بدرجة قدرتنا على المطابقة ما بين إرادتنا وإرادة الله ، فربما أمكننا القول بأن العميان جماعة عندهم « فرصة أكبر للبلوغ إلى درجة أعلى فى القداسة ؛ نعم نستطيع أن نقول له ذلك مع تنبهنا إلى عوامل أخرى كثيرة » ، وذلك على أساس أن إرادة الله قد تطلبت منهم ما هو أكثر — فبالنسبة لهم يتضمن الخضوع لإرادة الله خضوعاً لإرادته

التى سمحت بإصابتهم بإعاقة مروعة متعددة الجوانب لم يتعرض لها الباقون منا .

ويقودنا ذلك مباشرة إلى سؤال آخر : ما هو الاتجاه الذى يطلبه الله إزاء هذه الإعاقة ممن يعانونها ؟ الكثرة الكثيرة من الناس يعتقدون أن عليهم أن يقللوا ويهونوا من شأن إعاقتهم ، وإلا فإنهم لا يبدون الخضوع الذى يطلبه الله . الكثرة الكثيرة يبدو أنهم يعلمون هذه الفكرة ذاتها للعميان : « انظروا إلى العمى بحسبان أنه ليس بهذا السوء الذى يبدو عليه ؛ قولوا إنه عبء صغير . لا تفكروا فيـــه على أنه خطير ، وإلا ظهرتم بمظهر المنكر لإرادة الله » .

وإن هذا الاعتقاد الغريب بأن الله الحق يمكن أن يطلب منا إنكار الحق لهو اعتقاد يصعب فهمه . فحينما تنكسر ذراع الواحد منا فإن الخضوع لإرادة الله لن يقتضينا أن نسمى ذلك أو نعتقد بأنه مجرد « التواء شديد » — نوع من الشد العضلى فيما نظن » . وحين نعانى الألم فإن الله لا يتوقع أن الرضا بمشيئته ينبغى أن يجعلنا نقول أو نفكر أن ذلك ليس ألماً فى الواقع — « نوع من الحكة ، ضرب من عدم الارتياح » .

وحين يصاب شخص بإعاقة العمى ، فلا ينتظر منه أن يقلل من وقع العمى ( بأكثر مما ينتظر منه أن يبالغ فيه ) : عليه بالأولى أن يقدر العمى على ما هو عليه ، فى دلالته . فعندئذ فقط يمكنه أن يعطى معنى للقول : « أبانا ، لتكن مشيئتك لا مشيئتى » .

والمسيح فى آلامه لم يحاول أن يقلل من عذابه المروع . لقد صلى كيما يتخلص من هذا العذاب : « يا أبتى إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . وهذه الصلاة للأعمى كل الحق فى أن يرددها حين يحاول أن يخلص نفسه من إعاقة العمى — باستعادة البصر بكل وسيلة أخرى متاحة — وحين

يحاول أن يحقق تعويضاً بكل وسيلة ممكنة عن فقدانات العمى حتى يجعل من العمى إعاقة أقل مما يمكن أن تكون عليه وفى النهاية مأوى المسيح ، كما يجب على كل معوق أن يحاول : « وفى هذا لن تكون مشيئتى بل مشيئتك » .

وحب الحق يقتضى أن ينظر الأعمى إلى إعاقته نظرة موضوعية كلما أمكن — متقبلا فى نفسه كل عبء العمى — ومقدرا فى نفسه كيف أن كل طبيعته البشرية تتمرد على وجه بعد الآخر من أوجه العمى ، وكيف أن طبيعته ترفض وتنكر وتكره عمله .

فإذا ما أخفى الحقيقة على نفسه فغالبا ما يكتشف أن الرفض والإنكار والكراهية إنما تتراوح فى اتجاه آخر وأنها يمكن أن تنقلب متجهة ضد الآخرين ، أو متجهة ضد نفسه ، بل ومتجهة أحيانا ضد الله .

أما إذا نما الأعمى حقا فى القداسة ، وإذا ما كان عماه ( حين يتقبله ) أداة لهذا النمو — فعندئذ يمكنه ، فى تقدمه نحو الله ، أن يصبح شكورا على هذه الأداة « كنير هين وكعبء خفيف » من أجل المسيح . ومن الممكن فى وضوح أن تتحقق الكراهية « الإعاقة » العمى مع الحب « لصليب » العمى .

ومشكلة وجود الشر الخلقى والمادى تجابهنا برمتها فى مجال العمى مع العميان على نحو ما تجابهنا فى كل احتكاك لنا بالأشخاص الذين يعيشون الألم أو الحرمان . ونقترح أن نبتعد عن استخدام كلمة « الابتلاء » من حيث إن مدلولاتها تشير إلى القصاص ، ومن حيث إنها تتضمن أكثر من مجرد إرادة الله التى قضت بذلك ، ومن ثم فغالبا ما تؤدى هذه الكلمة إلى استنتاجات زائفة .

وهنالك الكثير من المفاهيم التى نحتاج إلى أن نستوضحها لأنفسنا

وللآخرين . فينبغى التمييز ما بين القداسة الحقة ومختلف أشكال القداسة الزائفة . فذلك « الاستشهاد ، الزائف » الذى يألفه كل أب اعتراف وكل موجه روحى إنما نلتقى به بين العميان كما نلتقى به فى أى مجال آخر ؛ فالأعمى كالمبصر ممكن أن يلبس قناعا بحيث يجعل الناس يعتقدون أنه شهيد ، مستسلم تماماً لكل الضربات التى يكيلها له الدهر ، وهو فى نفس الوقت ينسج لنفسه مكانا يسيطر منه على آلامه ، على كل من حوله بحيث يجعل كل أهل بيته يدورون فى فلك مشيئته . إن الشهيد الزائف يعمل على استثارة مشاعر إثم مروعة عند كل المحيطين به حين يسمحون لشكوكهم فى صدقه أن تقرب من السطح . ومع كل طفحة إثم جديدة يزداد الشهيد سيطرة وتحكماً أكثر فأكثر ، والشىء المريع ( وهو حقا مريع ومروع ) فى هذا الأمر أن الأعمى بصفة عامة لا يأتى ذلك عن وعى . إن الأمر يجرى بكليته تحت السطح إلى درجة أن « الشهيد » نفسه يكون مقنعا ( ويكاد يقتنع ) بإنكاره لذاته . فالاستسلام هنا أو التظاهر بالاستسلام ليس متولدا عن الحب ، ولكنه على العكس رداء يخفى كراهية مروعة . إنه استسلام يغتذى بالكراهية ويغذى الكراهية .

ثم نأتى إلى الانحرافات الاجتماعية والتمردات بأشكالها المختلفة . ونحن نحتاج هنا إلى أن نتعلم متى تكون هذه كلها مجرد إزاحة لإنكار الإعاقة والتمرد عليها . فالذنوب المرتكبة ضد الكنيسة والمجتمع وضد قوانين الزواج الإلهية — غالبا ما نستطيع أن نستكشف بين جذورها ذلك التمرد العميق ذاته ( الذى ربما لا يعيه الأعمى وربما اعتقد أنه ليس إلا ضربا من « الاستنارة » أو شيئاً من هذا القبيل ) ونعنى التمرد ضد العمى الذى لم يتقبله صاحبه ؛ لأنه لم يلتق به مكتملا قط .

أما من الناحية الأخلاقية ( ونعنى مسألة طاعة القوانين الإلهية أو الخروج عليها ) فنحن نعلم بادئ ذى بدء بطبيعة الحال أن القوانين الإلهية ملزمة

للعميان وللمبصرين على السواء ، وفى نفس الوقت نجد بين الظروف التى تغير من طبيعة الخطيئة ( بما يزيد من الإثم أو ينتقص منه ) عديدا من العوامل المتصلة بالعمى وبالخبرات المتناقصة بسبب العمى . ولسوف نتحقق من هذه الأمور بصورة أكثر اكتمالا متى عرفنا العمى ذاته بصورة أكثر اكتمالا .

وفيما يتصل بواجب العبادة الجماعية يوم الأحد لا نستطيع أن نقرر قاعدة عامة ، فبعض العميان يعفون منها عادة لأنهم مرضى وملازمون الفراش ، وغيرهم يعفون منها لأن لديهم مشكلات عصابية خطيرة تجعل من المستحيل عليهم أن يذهبوا وسط الجموع . وغيرهم يعفون لأنهم يستشعرون خوفاً من الانتقال إلى حد أنهم لاينتقلون قط إلى أى مكان ، ولكن هناك الكثيرين من العميان الذين يشاركون فى المناشط العادية فى المجتمع المحلى أثناء الأسبوع ، فهم يذهبون إلى العمل وإلى أماكن الترويح . من الخطأ الفادح أن نعفى بصفة عامة مثل هؤلاء العميان من واجب العبادة الجماعية متعللين فحسب بالعمى وحده[1] .

ونحن بحاجة إلى أن نعرف أيضاً كيف يختلف أى شكل من أشكال العبادة الجماعية بالنسبة إلى العميان اختلافاً « محسوساً » عما عليه الأمر بالنسبة إلى المبصرين . فنظام الأسرار الكنسية كله يكون المادى فيه رمزاً للروحى . وما يظهر للحواس يرمز لما يظهر للروح . فإذا لم نتأمل الأمر جيداً فمن الممكن أن تغيب عنا كثرة الاستثارات الموجهة إلى حاسة

---

(١) كل دراسة علمية ينبغى أن تبتعد بالموضوعية عن ذاتية الباحث واهتماماته الخاصة ، وإلا فإنه يقحم على العلم ما ليس من العلم فى شىء . من هنا كان خطرا اشتغال بعض رجال الدين بالمباحث العلمية . ( المترجم ) .

الإبصار[1] حيث الأشياء « المرئية » بمعنى الكلمة تتأدى بالمتعبدين إلى الأشياء غير المرئية . وإدراك هذه الصعوبة كان بالغ الأهمية فى إعانتنا على التربية الدينية للأطفال العميان . فينبغى أن نهتم بجعل كل شىء « ملموسا » أثناء عملية التربية هذه حتى يمكنهم أن يعرفوا ماذا يجرى فى وضوح تام ؛ وهذا مهم أيضاً عنـــد تناولنا ، وعند تفهمنا لمشكلات الراشدين من العميان فيما يتصل بالخدمات الدينية .

وبالنسبة للكتب الدينية ( بالإضافة إلى ما قلناه عن مصادر القراءة بصفة عامة فى الفصل ١٣ والابتعاث ٨ ) ، ينبغى أن نكون على حذر فلا نشجع تعدد جمعيات النسخ « بالبراى » ، فهمتنا أن نزيد من تداول كتب « البراى » ، لا أن نعدد ونضاعف من نسخ الكتاب الواحد .

وفى هذا المقام يهمنا أن نعرف بين كتب « البراى » ، مقدار النسبة المئوية التى بكتب « الوحى » أيحتمل أن بعضا من هذه على الأقل يرجع إلى الخرافة التى تحدثنا عنها من قبل ؟ يبدو أحياناً وكأن بعض الناس نظروا إلى العميان وقالوا : « هذه جماعة تستطيع أن تفرض عليها القداسة » . فعند الرغبة فى اجتذاب أناس إلى الله يوجد دواما إغراء بمحاولة فرض القداسة عليهم . ولكن هذه المحاولة لا يمكن بحال أن تكون محاولة مثمرة . إننا قد ننجح فى فرض مظهر القداسة على بعض الناس ، ولكن القداسة لا تأتى إلاّ من الداخل .

---

(١) وهذا يصدق بصفة خاصة ، كما فى الطقس الرومانى فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى الوقت الحاضر ، متى كانت لغة القداس غير مفهومة من الشعب . فمن الصعوبة بمكان بالنسبة إلى الكاثوليكى العادى الأعمى أن يركز تفكيره على المذبح أثناء إلقاء القداس . فهؤلاء تتوافر لديهم مساعدة من كتاب صلاة القداس « بالبراى » ، من حيث إن نقل صلاة القداس بالبراى يتطلب مجلدات يكون استخدامها غير عملى . ومن أجل ذلك فإن جماعة من القساوسة الكاثوليك المعينين للعمل مع العميان دون سواهم قد أصدروا قرارا بمطالبة الأسقف بأن يلتمس من قداسة البابا أن يصرح لهم باستخدام اللغة القومية فى صلاة القداس .

إن مهمتنا هى أن نتيح للناس النمو ( كما يشاء الله فى الحق لهم أن ينموا ) وأن نهيء لهم الفرص كيما يتعلموا عن الله ، فنقدم لهم فى كل مرحلة من مراحل نموهم معارف عن الله تلائم هذه المرحلة ، إن علينا أن نعينهم ونساعدهم بحيث يبلغون إلى الاستقلال عنا . علينا أن نحميهم من مسالك الشر ، لا بين جدران البيت وإنما فى العالم . علينا أن نحميهم من الأذى الخلقى لا بأن نحول بينهم وبين النمو ، وإنما بالحرى بتعليمهم أن ينموا بحيث يختارون بأنفسهم الخير ويتجنبون الشر .

ذلك هو الشأن بالنسبة إلى الكتب الدينية للعميان . ينبغى أن نحاول بكل وسيلة أن نضع فى متناولهم تلك الكتب الدينية التى تساعدهم على أن يعرفوا الله ويحبوه . ولكن لا يجوز لنا أن نحاول ما هو أكثر ( ولا ما هو أقل ) بحيث نجعل كل كتبهم دينية بحتة ، بأكثر مما يجب أن نفعل مع جماعة المبصرين .

إن العمى إعاقة متعددة الجوانب ، وعلى الشخص الذى يهتم بالنمو الروحى للعميان أن يعرف هذه الحقيقة ، وأن يحاول الحصول على أكبر قدر ممكن من المعرفة عن العمى حتى يمكنه أن يساعدهم . وفى بعض الأوقات سوف يكون عليه أن يطلب إرشاداً خاصاً من أولئك الذين تخصصوا لمزيد من المعرفة عن المشكلات الخاصة بالعمى . ليس فى طبيعة العمى على أى حال ما يدعو إلى نقل الرعاية الروحية للعميان بعيداً عن الكنيسة العادية . والجمعيات الدينية الخاصة بالعميان هدفها أن تجعل الأعمى عضواً أفضل فى كنيسته . والمعيار الصحيح لنجاح هذه الجمعيات والمبرر الحقيقى الوحيد لوجودها هو مدى ما تحققه فى هذا السبيل .